الجامعة

الجزء الثالث — السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ مايو (ايار) سنة ١٩٠٣ ـ صفر سنة ١٣٢٠

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

مشاهير الغرب

الملك ادورد * الرئيس لوبه

الملك ادورد والرئيس لوبه هما اليوم الرجلان اللذان يُمثلان ارقى امم الارض · وحكومتهما (مع حكومة الولايات المتحدة) ارقى الحكومات في العالم · ولمناسبة التقائهما في باريز بعد سياحة الرئيس لوبه في الجزائر وتونس يحسن ان نصدر هذا الجزء بشيء من ترجمتهما

***

الملك ادوار ولد الملك ادوار في سنة ١٨٤١ ويوم ولادته ساد الفرح في انكلترا كلها لان بكر امه كان بنتاً · وقد صرف ابوه همه الى تحويل ميله منذ صغره الى المعارف والفنون تنبيهاً للميل الادبي فيه لان امته امة علم وادب · فشبَّ الامير ادور اديباً مطلعاً ·



ادورد السابع ملك انكلترا
بلباس رئيس الجامع الماسونية وهو ولي العهد



اميل لوبه
رئيس الجمهورية الفرنسوية

الاّ ان امه المرحومة فيكتوريا وضعته بمعزل من المعيشة الملوكية الرسمية اي لم تكن تسمح له بالتداخل في شأن من الشؤون لئلا يجرّ ذلك عليه الانتقاد واللوم · ولذلك كان الامير يقول: ان ابن اختي الامير غيليوم (يريد الامبراطور غيليوم وهو ولي عهد) يدبّر كل شيء ويتداخل في كل شيء اما انا فكأنني غير موجود · ولكن لما توفي ابوه جزعت الملكة فيكتوريا لوفاته جزعاً شديداً وانقطعت عن الحفلات الرسمية فصار نجلها الامير ادور ينوب منابها فيها · ومع ذلك فقد كانت وظيفته مقصورة على الظهور في تلك الحفلات دون ان يتداخل في شيء من امور الدولة الرسمية احتراماً لارادة والدته التي لم يكن يخالف لها امراً

وكان من صفات الامير وهو ولي العهد كراهته للاستقبالات الرسمية ورغبته في ان يروح ويجيء في المدينة كما يريد دون ان يعرفه احد او يحفل به احد · ومن اقواله : انني اكون سعيدا جداً يوم اقدر اروح واجيء كما احب فلا يقال عني راح البرنس دي غال وجاء البرنس دي غال · او لعب البرنس دي غال الليلة وخسر مالاً لا يقدر على وفائه »

وكان من المغرمين باقتناء الخيل وتضميرها للسباق وقد ربح جائزة دربي ثلاث مرات · وكذلك كان من محبي التأنق في اللبس وكثيرون من الباريزيين والباريزيات لا يزالون يذكرون نزهاته في حرش بولونيا في باريز بقبعة منحرفة على اذنه قليلاً كالشبان المرتاحين الى الحياة وسترة بزيٍّ جديد خاص به · وهذه السترة كانت لا تلبث ان تصير منذ ذلك اليوم زياً عمومياً (موضة) فيتهافت اهل التأنق على لبس سترة مثلها

ولكن لما توفيت المرحومة الملكة فيكتوريا والقيت على عاتقه اعباء الدولة الثقيلة تغير الامير تغيراً كلياً · فصار منظره رسمياً محضاً · ومنذ اول اسبوع رحب الشعب الانكليزي بملكه الجديد اجمل ترحيب · غير ان الساسة باتوا يتساءلون : هل ان الملك ادوار يجري في ملكه على سياسة وزرائه ام له آراء خصوصية يريد تحريك سفينة الدولة نحوها · فيظهر من الحوادث التي مرّت عليه الى الآن ان الملك ادوار ملك جدي لا يترك نفسه آلة في ايدي وزرائه · فانه على ما يُقال هو الذي جعل الوزارة الانكليزية تُصالح البوير على الشروط التي تمّ الاتفاق عليها · وهو ايضاً الذي حرّك سفينة الحكومة نحو صداقة فرنسا · ومما هو معروف عنه انه شديد الميل للفرنسويين خصوصاً لباريز لانه اقام فيها مراراً مدات طويلة وعرف اكابر رجالها وسيداتها خصوصاً في المجتمعات العليا · ومن اقوال بعض اخصائه عنه : ان ابتسامة باريز له تعادل عنده ابتسامة الدنيا كلها

وفي يقيننا ان باريز لا تكتفي بالابتسام له هذه المرة التي تحظى فيها بزيارة سلطان

السلطنة الانكليزية · لانه يظهر من الاخبار الواردة منها ونحن نكتب هذه السطور انها ستنضجك له ابتهاجاً بزيارته ملء فيها · فعسى ان يكون في هذه الزيارة خدمة جديدة للسلم العام في العالم وازالة النفار من بين الامتين العظيمتين اللتين خلفتا الامة اليونانية والامة الرومانية

***

﴿ اميل لوبه ﴾ ولد اميل لوبه في مونتليمار في اقاليم فرنسا ونشأ محامياً ووكيلاً للدعاوى ولبث يتدرج من هذه الحرفة حتى وصل الى رئاسة الجمهورية · اي انه مرَّ في جميع الدرجات التي بينها وبين هذه الرئاسة · فكان عضواً في المجلس البلدي في بلدته ثم عمدة لها ثم موظفاً في الحكومة فنائباً في مجلس النواب فوزيراً فعضواً في مجلس الشيوخ فرئيساً لهذا المجلس · فتقدّمه اذاً كان عبارة عن سير تدريجي مطرد بلا وثبة ولا عنف لانه كان عبارة عن نتيجة ارادة قوية وصبر شديد · وقد كان انتخابه لرئاسة الجمهورية في الاحوال التالية :

لما فُتحت مسألة دريفوس انقسمت فرنسا قسمين قسم يُدافع عن الجيش وقسم يطلب الحقيقة اي يطلب تبرئة دريفوس اذا كان بريئاً ولو ادى ذلك الى اهانة رؤساء الجيش الذين كانوا يؤكدون خيانته · وكان على رئاسة الجمهورية يومئذ المرحوم فليكس فور وكان من حزب الجيش وبعض الجمهوريين المعتدلين الذين كانوا يعضدونه اعتقاداً بخيانة دريفوس · فيظهر ان هذه الحادثة اثرت بالمرحوم فليكس فور فاصيب بداء السكتة من جرائها وبعضهم يقول انه مات مسموماً وهو حديث خرافة · فلما خلت رئاسة الجمهورية في ذلك الوقت الذي كان اشد اوقات الضيق على فرنسا عرف اعداء الجمهورية ان هذه هي ساعتهم · فزادوا في تنفير الشعب منها والحملة عليها · اما الجمهوريون فانهم اجتمعوا بسرعة غريبة لانتخاب رئيس الجمهورية · فوجدوا من مصلحة الجمهورية يومئذ ان يضعوا في رئاستها رجلاً جامعاً لصفتين: الاولى ميله الجمهوري المحض لكي لا يخون الجمهورية وينحاز الى اعدائها · والثانية الاعتدال واللطف والمسالمة التي لا بدَّ منها في منصب فوق الاحزاب كهذا المنصب· فوقع اختيارهم على المسيو اميل لوبه الرجل الكريم الجامع للصفتين معاً

ولما بلغ خبر انتخابه الى باريز قام حزب الناسيوناليست وقعد · وانتشر هذا الحزب على الطريق التي مرَّت بها مركبته قاصدة قصر رئاسة الجمهورية يصيحون : بناما بناما · يريدون بذلك تعيير الرئيس بانه كان له يد في قضية بناما المشهورة · مع ان المسيو لوبه لم يكن له يومئذٍ يدٌ الاَّ في دفن تلك الاقذار لئلا تنتشر رائحتها فتضر سمعة فرنسا نفسها · فاحتمل

المسيو لوبه مهاجمات واهانات اعداء الجمهورية بصبر غريب بالنسبة الى كبر سنه · ولكن كبر النفس لا تتوقف على كبر السن او صغرها · ولما اعترض المسيو ديروليد زعيم حزب الناسيوناليست الجيش وهو عائد من جنازة المرحوم فليكس فور وطلب من قائده ان يزحف معه الى قصر رئاسة الجمهورية لاخراج الرئيس الذي فيها واقامة جمهورية جديدة « للشعب من اجل الشعب » قابل المسيو لوبه في قصره هذا الخبر بالابتسام · ولكن لما حضر سباق او تيل وهجم عليه احد ابناء الاشراف وضربه بعصاه على قبعته على مشهد من جميع الناس ذهب يومئذٍ هذا الابتسام وتحوّل الى جدّ غريب · فان الرئيس قال يومئذٍ لاحداخصائه : انهم يصنعون بي هكذا ليحملوني على الاستعفاء ضعضعة لاركان الجمهورية ولكن فليعلموا انني سابقى في منصبي مهما جرى لي

ثم كانت وزارة المسيو والدك روسو بطل الجمهورية والبرلمان الفرنسوي فجمع شمل الجمهوريين واضعف اعداء الجمهورية بمساعدة المسيو لوبه وبذلك انتصر هذا الرئيس اللطيف بصبره ورزانته وصار بعد تلك الاهانات والمهاجمات محترَماً في فرنسا كلها وصارت الملوك (كالقيصر والملك ادورد السابع) تتسابق لزيارته وهزّ يده

مشاهير الشرق

ملك شاه * نظام الملك

حين خروج الامة التركية من بلادها في اقاصي آسيا واكتساحها ما يليها من البلاد التي كانت في قبضة العرب والفرس اشتهر منها سلطان ووزير طبقت شهرتهما الخافقين وفتحا اكثر بلاد آسيا وهما السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك · وفي ترجمة هذين الحاكمين عبرة للحكام وفائدة للقراء · لانه اذا صحّ كل ما روي عن ملكشاه من الخصال والمناقب وجب وضعه في مقدمة الملوك الممدِّنين الذين اشتغلوا لترقية الحضارة والمدنية في الارض

السلطان الب ارسلان السلطان ملكشاه هو ابن السلطان الب ارسلان الذي خلف السلطان طغرلبك · ويوم وفاة هذا السلطان كان الب ارسلان صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فولوه دون سليمان بن داود جغري بك الذي عهد اليه السلطان طغرلبك بالسلطنة · فاتسع سلطان الب ارسلان حتى لُقب « بسلطان

العالم » وكان رفيقاً بالفقراء حكيماً متبصراً · قيل « ان بعض السعاة كتب اليه سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ما له ما في ممالكه من الرسوم والاموال وترك هذه الورقة على مصلاه · فاخذها فقراها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له : خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس » قال ابن الاثير بعد سرده هذه الحكاية : وهذه حال لا يُذكر عن احد من الملوك احسن منها · وكان ألب ارسلان شديد العناية بكف الجند عن اموال الرعية· وقد بلغه يوماً ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازاراً فاخذ المملوك وصلبه· فارتدع الناس من التعرض الى مال غيرهم· ولقد كانت هذه الشدة ضرورية بعد ما احاق ببغداد والبلاد من السلب والنهب على يد الجنود والعساكر

ملك شاه ونظام الملك فعند وفاة ألب ارسلان اوصى ابنه ملك شاه بالاعتماد على وزيره نظام الملك فاعتمد عليه ملكشاه ولقبه القاباً جليلة من جملتها « اتابك» يعني الامير الوالد · فقام نظام الملك بهذا الامر احسن قيام

وكان نظام الملك رجلاً مقداماً · وقد كانت ولادته في سنة ٤٠٨ للهجرة في نوقان احدى مدينتي طوس · قال ابن الاثير « وقد زال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت امه وهو رضيع فكان ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شبَّ وتعلّم العربية وسرُّ الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم » ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان متولي الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان ثم اتصل بداود نفسه فاوصى به ابنه الب ارسلان

المشاكل الثلاث ولما تولى ملك شاه السلطنة وعهد بوزارتها الى نظام الملك وجد نظام الملك نفسه لدى ثلاث مشاكل : المشكلة الاولى قيام الخليفة المقتدي بالله اماماً في بغداد والتفاف العرب حوله وما ينشأ عن ذلك عادةً من الاحتكاك بين الخلافة والسلطنة· والمشكلة الثانية هياج الجند ورغبتهم في ان تُطلق ايديهم في اموال الرعية ليأخذوا ما يريدونه منها · والمشكلة الثالثة تسكين الثورات واخضاع الخوارج في اطراف البلاد وتأمين السبل فضلاً عن فتح البلاد اللازم فتحها تأميناً على ما في اليد من الاملاك

المشكلة الاولى اما المشكلة الاولى فقد اتخذ فيها نظام الملك سبيل اللين والمسالمة· فصار يُبالغ هو والسلطان في زيارة قبور الائمة والاولياء كقبر موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل وابي حنيفة (رضه) وغيرها من القبور المعروفة· وفي ذلك قال ابن

ذكرويه الواسطي يهني‎ء نظام الملك بقصيدة منها :

زرتَ المشاهد زورة مشهورة ارضت مضاجع من بها مدفونُ
فكأنك الغيث استهلّ بتربها وكأنها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب وانجحت ولك الاله على النجاح ضمين

قال ابن الاثير في سنة ٤٧٩ « وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده بقي نظام الملك قائماً يقدم الى الخليفة اميرًا اميرًا . وكلما قدم اميرًا يقول : هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا الى ان اتى على آخر الامراء » وفي هذه الزيارة « فوّض الخليفة الى السلطان امر البلاد والعباد وامره بالعدل فيهم . وطلب السلطان ان يقبّل يد الخليفة فلم يجبه فسأل ان يقبّل خاتمه فاعطاه اياه فقبّله ووضعه على عينه وامره الخليفة بالعود فعاد . وخلع الخليفة ايضاً على نظام الملك »(١)فتأمل هذا الاحترام الجميل الذي كان السلاطين يقابلون به الخلافة وان كان في ذلك شيء كثير من ضروب السياسة

عرس جليل وزيادة في الاستيثاق من الخلافة رغب السلطان ملكشاه في تزويج ابنته الخليفة المقتدي بالله فتمّ الاتفاق على ذلك بعد ممانعة الخليفة قليلاً وقد « نقل السلطان جهاز ابنته الى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي . وكان اكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى اربعة وسبعين بغلاً مجللاً بانواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنى عشر صندوقاً من فضة لا يُقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرساً من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب » اما الخليفة فانه ارسل ابا شجاع وزيره الى زوجة السلطان تركان خاتون ام العروس لان السلطان كان يومئذٍ متغيباً في الصيد « وكان بين يديه (يعنى اباشجاع) نحو ثلاثمائة موكبية ومثلها مشاعل . ولم يبقَ في الحريم دكان الأ وقد أُشعل فيه الشمعة والاثنتان واكثر من ذلك . وارسل الخليفة مع (ظفر) خادمه محفة لم يُرَ مثلها حسناً . وقال الوزير لتركان خاتون (ام العروس) سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها . وقد اذن في نقل الوديعة الى داره . فاجاب بالسمع والطاعة . وحضر نظام

(١) وقال ابن خلكان « دخل نظام الملك على الخليفة المقتدي بالله فاذن له في الجلوس بين يديه وقال له يا حسن رضي الله عنك برضاء امير المؤمنين عنك »

الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير . وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان . ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شيء . وقد احاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة . وكانت ليلة مشهورة لم يرَ ببغداد مثلها » ولكن ابنة السلطان لم يطل مقامها في حرم الخليفة اكثر من سنتين اذ في سنة ٤٨٢ « ارسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلباً لا بدَّ منه . وسبب ذلك انها ارسلت تشكو من الخليفة وتذكر انه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فاذن لها في المسير فسارت في ربيع الاوّل وسار معها ابنها من الخليفة ابو الفضل جعفر بن المقتدي بالله » ولما وصلت الى اصبهان اقامت بها الى ذي القعدة ثم توفيت فجلس وزير الخليفة في بغداد للعزاء سبعة ايام واكثر الشعراء مراثيها في بغداد مقر الخلافة وفي اصبهان معسكر السلطان

﴿ المشكلة الثانية ﴾ اما المشكلة الثانية وهي كف ايدي الجند عن اموال الرعية فقد لجأ فيها نظام الملك الى سياسة السلطان الب ارسلان وهي التشديد في معاقبة الاعتداء . فكبح بشدته جماح الجند كبحاً شديداً بعد ان كاد الجند يعود الى السطو كما كان يفعل في ايام السلطان طغرلبك وغيره . وفضلاً عن ذلك فان نظام الملك شغل الجند بالفتوحات والحروب الخارجية عن الفتن الداخلية

﴿ المشكلة الثالثة ﴾ وبهذه الفتوحات والحروب الخارجية مدَّ ملكشاه ونظام الملك سلطنتهما من « حدود الصين الى آخر الشام ومن اقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن . وحمل اليه (يعني الى ملكشاه) ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد » « وكان منصوراً في الحروب ومغرماً بالعمائر فحفر كثيراً من الانهار وعمل الاسوار على كثير من البلدان وانشأ في المفاوز رباطات وقناطر . وهو الذي عمر جامع السلطان ببغداد وصنع بطريق مكة مصانع وغرم عليها اموالاً كثيرة خارجة عن الحصر وابطل المكوس والخفارات في جميع البلدان . وكانت السبل في ايامه ساكنة والمخاوف آمنة تسير القوافل مما وراء النهر الى اقصى الشام وليس معها خفير ويسافر الواحد والاثنان من غير رهب »

ومن ذلك يُعلم عظمة تلك الارادة القوية التي سكنت سائر الفتن بين العناصر والمذاهب المختلفة وبسطت رواق الامن في آسيا

المدرسة النظامية ومن اهم الامور التي صرف اليها نظام الملك فكره انشاء المدارس . ومن المدارس التي انشأها المدرسة النظامية الكبرى في بغداد التي اشتهرت اشتهار اعظم كليات اوروبا . وكان نظام الملك يربي ابنه فيها . وقد « شرع نظام الملك في بنائها في بغداد عام ٤٥٧ وفي عام ٤٥٩ جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ ابو اسحق الشيرازي . فلم يحضر . فذكر الدرس ابو نصر بن الصباغ صاحب الشامل عشرين يوماً . ثم جلس الشيخ ابو اسحق يدرّس بعد ذلك . وكان الشيخ ابو اسحق اذا حضر وقت الصلاة خرج منها (لكي لا يصلي فيها)) وصلى في بعض المساجد » ذلك انه كان يقول « بلغني ان اكثر آلاتها غصب » يعني ان نظام الملك بناها بغصب الناس اشياءهم . وكان نظام الملك كلما قدم الى بغداد « يدخل اليها ويجلس في خزانة الكتب (اي مكتبتها) ويطالع فيها كتباً . وقد سمع الناس عليه بهذه المدرسة جزء حديث واملى جزءاً آخر » وممن اشتغلوا بالتدريس في هذه المدرسة بعد ذلك اكابر علماء العراق منهم حجة الاسلام الامام الغزالي حتى صارت في العراق بمنزلة الجامع الازهر في مصر . ويظهر ان الخلاف بين الحنابلة والاشاعرة اشتدّ في سنة ٤٧١ ودخل فيه مدرّسو هذه المدرسة وطلبتها فجرت بسبب ذلك فتن دموية فكتب ابو الحسن محمد بن علي بن ابي الصقر الواسطي الفقيه الشافعي الى نظام الملك في ابيات

يا نظام الملك قد * حلَّ ببغداد النظام * يا قوام الدين لم * يبقَ ببغداد مقام
فاذا لم تحسم الد * اء اياديك الحسام * ويكف القوم في بغ * داد قتل وانتقام
فعلى مدرسة فيها * ومن فيها السلام

فقدم حينئذ نظام الملك الى بغداد ودخل مدرسته النظامية والقتل بجوارها فسكن ثائر تلك الحركة . وكان يومئذ التوفيق بين العناصر والمذاهب مشكلة رابعة بذل نظام الملك جهده في حلها

مقتل نظام الملك قال ابن خلكان « ان نظام الملك وطَّد المملكة لملك شاه فصار الامر كله لنظام الملك وليس للسلطان الاّ التخت والصيد . واقام على هذا عشرين سنة » ويظهر ان علو كلمة نظام الملك في المملكة الى هذا الحد اثار عليه غضب السلطان في نهاية الامر لا سيما وان خصمه تاج الملك كان يوغر عليه صدر السلطان دائماً . فبطش به السلطان كما بطش هرون الرشيد بالبرامكة والمنصور بابي مسلم الخراساني خوفاً وحسداً . وقد اغتنم ملك شاه لذلك اول الفرص . واليك البيان :

كان لنظام الملك حفيد يدبر شؤون مرو و يُدعي عثمان . ففي ذات يوم ارسل اليها ملك شاه رجلاً من اكابر مماليكه يُدعى قودن فتنازع هو وعثمان تنازعاً افضى الى ان فعل به عثمان فعلة نضرب عنها صفحاً . فذهب قودن الى السلطان شاكيًا مستغيثًا . فلما بلغ هذا الامر الى ملك شاه غضب وارسل الى نظام الملك يقول له « ان كنتَ شريكي في الملك و يدكَ مع يدي في السلطنة فلذلك حكم . وان كنتَ نائبي وبحكمي فيجب ان تلزم حدّ التبعية والنيابة » ثم ذكر له استيلاء اولاده على الكور وتطاولهم على شؤون الدولة . فحين بلغت نظام الملك هذه الرسالة غضب واجاب عليها بقوله « قولوا للسلطان ان كنتَ ما علمتَ اني شريكك في الملك فاعلم . فانك ما نلتَ هذا الامر الا بتدبيري ورأيي - قولوا له ان ثبات تلك القلنسوة (يعني قلنسوة السلطان) معذوق بهذه الدواة . وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة . واذا أطبقت هذا يعني الدواة) زالت تلك »

فلما بلغ هذا الجواب الى السلطان وقع وقعاً عظيمًا عنده فدبّر له على الارجح من قتله . وتفصيل ذلك ان نظام الملك كان يوماً في قرية قريبة من نهاوند يقال لها « سحنة » واذ اعترضه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح مستغيث وبيده ورقة فدنا منه نظام الملك ليتناولها فطعنه الصبي في فؤاده ثم فرّ فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه . واما نظام الملك فانه حُمل الى مضربه فمات لساعته

وكأنّ النظام بقوله ان دواته منوطة بقلنسوة السلطان قد نظر الى المستقبل . فان السلطان ملك شاه لم يعش بعده اكثر من خمسة وثلاثين يوماً . وكان سبب موته « انه اكل لحم صيد فحمّ وافتصد ولم يستوفِ اخراج الدم » وبعد موتهما انحلت تلك الدولة الواسعة التي لم يملك مثلها احد من ملوك العرب بعد الخلفاء المتقدمين كما قال ابن خلكان ووقع السيف فيها . اما دفنهما فقد كان في اصبهان

وقد رثى الشعراء نظام الملك من ذلك قول شبل الدولة مقاتل بن عطيه

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة   يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزّت فلم تعرف الايام قيمتها   فردّها غيرةً منه الى الصدف

﴿ عود الى الخليفة المقتدي بالله ﴾ وقبل وفاة ملك شاه « بايع الخليفة المقتدي بالله لولده المستظهر بولاية العهد من بعده لانه كان الاكبر . فالزم السلطان الخليفة ان يخلعه ويجعل جعفرًا ابن بنته (التي تزوج بها الخليفة كما تقدم) ولي عهده ويسلم بغداد اليه ويخرج الخليفة الى البصرة . فشق ذلك على الخليفة وبالغ في استنزال السلطان عن هذا

الرأي فلم يفعل وطلب المهلة عشرة ايام ليتجهز فامهله . فقيل ان الخليفة في تلك الايام جعل يصوم ويطوى واذا افطر جلس على الرماد للافطار وهو يدعو الله على السلطان فمرض السلطان في تلك الايام ومات وكفى الخليفة امره »

﴿ نوادر عن اخلاق نظام الملك ﴾ كان عالماً كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت . « وكان اذا دخل عليه الامام ابو القاسم القشيري والامام ابو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل ابو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه . فقيل له في ذلك فقال : ان هذين وامثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي انت كذا وكذا ويثنون علي بما ليس في فيزيدني ذلك عجباً وتيهاً . وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وارجع عن كثير مما انا فيه »

« وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه اخوه ابو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد . فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرَّب المقطوع اليه فاكل معه . وكانت عادته ان يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه »

ولما ولي ملكشاه السلطنة خرج عليه احد اعمامه فاسره ملكشاه وامر بقتله فطلب اليه عمه ان يعفو عنه وانفذ اليه خريطة مملوءة من كتب امرائه ليثبت له بذلك انهم هم الذين حملوه على الخروج عن طاعته . فاخذ ملكشاه الحقيبة ودفعها الى نظام الملك ليفتحها ويقراء ما فيها . فتناولها نظام الملك والقاها في كانون نار كان هناك فاحترقت الكتب وسكنت قلوب الامراء والعساكر وطنوا انفسهم على خدمة ملكشاه بعد ان كانوا قد خافوا من الخريطة لان اكثرهم كان قد كاتبه . وكانت هذه معدودة من جميل آراء نظام الملك وكانت سبباً في ثبات قدم ملكشاه في السلطنة »

﴿ نوادر عن اخلاق ملك شاه ﴾ كان ملك شاه يلقب بالسلطان العادل . ويروى ان رجلين من ارض العراق السفلى قصدا ملك شاه وشكيا اليه مصادرة احد العمال لهما بالف وستمائة دينار وكسره ثنيتي احدهما « فنزل السلطان عن دابته وقال « ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني الى خواجه حسن (يعني نظام الملك) فامتنعا من ذلك واعتذرا فاقسم عليهما الاَّ فعلا فاخذ كل واحد منهما بكمٍ من كميه ومشى معهما الى نظام الملك . فبلغ الخبر الى نظام الملك فخرج مسرعاً ولقيه وقبل الارض وقال ياسلطان العالم : ما حملك على هذا . فقال كيف يكون حالي غداً عند الله اذا طولبت بحقوق

المسلمين وقد قلدتك هذا الامر لتكفيني مثل هذا الموقف . فان نال الرعية اذى فانت المطالب

لما خرج عليه اخوه سار ملك شاه ونظام الملك لقتاله « فاجتازا بقبر علي بن موسى» الرضى وبطوس فدخلا وصليا فيه واطالا الدعاء . ثم قال ملك شاه لنظام الملك باي شيء دعوت . قال دعوت الله تعالى ان ينصرك ويظفرك باخيك . فقال اما انا فلم ادعُ بهذا بل قلتُ اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وانفعنا للرعية »

وسطا بعض الجنود على سوادي فغصبوه بطيخاً معه فلقيه ملك شاه يبكي . واذعرف الخبر بعث من يطوف في الجنود ليجيء بمن يجد عنده بطيخاً . ولما جاء الرجل وكان من امراء المماليك سأله من اين لك البطيخ فاجاب ان بعض الغلمان جاءوا به فقال السلطان جئني بهم فذهب الامير وهرَّبهم ثم عاد وقال للسلطان انني لم اجدهم . فالتفت السلطان الى السوادي وقال له : هذا مملوك قد وهبته لك حيث لم يحضر القوم الذين اخذوا متاعك والله لئن خليته لاضربن رقبتك . فاخذه السوادي بيده فاضطر الامير ان يشتري نفسه منه بثلاثمائة دينار

وروي ايضاً انه « احضرت اليه مغنية وهو بالريّ فاعجب بها فاستطاب غناءها ورام منها ما لا يُرام فقالت ياسلطان اني اغار على هذا الوجه الجميل ان يُعذَّب بالنار فان الحلال ايسر وبينه وبين الحرام كلمة . فقال صدقتِ واستدعى بالقاضي فتزوجها منه

هذه خلاصة ترجمتي ذينك الرجلين العظيمين اللذين يحق للشرق ان يفتخر بهما

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما تهمّ مطالعتهُ من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرانية مما لا يدخل في باقي ابواب المجلة و يكون جامعاً لطلاوة الجديد وفوائد المفيد

بيت المقدس

(اورشليم او القدس والاماكن المشهورة فيها)

لحضرة نجيب افندي خوري نصار اللبناني في طبريا

هي المدينة الطائرة الصيت والذائعة الشهرة لاشتهارها بالوقائع التاريخية والحوادث الدينية التي جعلتها منذ ابتداء التاريخ المدني ذات شأن مهم في كل قرن تقريباً . فكانت شهرتها تتعاظم كلما تقادم عهدها حتى اشرأبت اليها اعناق الملوك وتسابقت الابطال الى اكتساب الشهرة بالحرب عند ابوابها والمدافعة عن اسوارها . وسعت الى السجود في معابدها رجال الدين وتاق الاتقياء من كل ملة الى تأدية فرائضهم الدينية فيها معتقدين ان كل وطأة قدم من اديمها مقدسة بما وطئها من اقدام الانبياء والمرسلين

☀ موقعها الجغرافي ☀ موقعها الجغرافي على سلسلة جبال كلسية قائمة في وسط فلسطين وعلى مسافة خمسة وثلاثين ميلاً الى الجهة الجنوبية الغربية من يافا في عرض شمالي ٣١ ٤٧ وطول شرقي ١٥ ٣٥ من كرينوج . وتعلو ٢٥٦٠ قدماً عن سطح البحر

والمدينة الاصلية محاطة بسور محيطه ميلان وثلاثة ارباع الميل وارتفاعه نحو ثمانية وثلاثين قدماً وفيه اربعة وعشرون برجاً وثمانية ابواب اشهرها باب الخليل نسبة الى حبرون بلد ابرهيم الخليل . والافرنج يسمونه باب يافا وهو في جهة السور الغربية . وباب صهيون المعروف بباب النبي داود لانه واقع على جبل صهيون مدينة داود الاصلية في الجهة الجنوبية .

(الجامعة) رأينا من الفائدة بعد نشر تاريخ المسيح والرسل بقلم رنان ان ننشر هذه المقالة المسهبة التي تضمنت وصف المدينة العظيمة التي حدثت تلك الحوادث فيها

و باب العمود المسمى ايضاً باب دمشق والباب الحميدي الذي فُتح من عهد قريب وكلاهما في جهة المدينة الشمالية · والباب الجميل في الجهة الشرقية مسدود

﴿ اسواقها وابنيتها وسكانها ﴾ اسواقها ضيقة وقذرة بسبب ازدحام الاقدام و بعض اقسام منها اقبية مظلمة وفيها منعطفات كثيرة وليس فيها انتظام كاسواق المدن الجديدة

والمدينة مبنية على اربع تلال يُفصل بينها باودية صغيرة يميزها الناظر من جبل الزيتون الواقع الى شرقيها · واسم هذه التلال صهيون وهو القسم الجنوبي الغربي الى المدينة والموريا او جبل الهيكل المقدس وهو القسم الجنوبي الشرقي منها · ويقابلهما تلا اكرا و برانيا والمدينة الجديدة· وقد امتدت المدينة في السنين الاخيرة مسافة ثلاثة اميال الى الجهة الشمالية الغربية ونحو ميل الى الغرب وميل ونصف الى الجنوب الغربي وكثرت فيها الابنية المتقنة والقصور الشاهقة والمستعمرات الاسرائيلية وازداد عدد سكانها من خمسة واربعين الفاً في سنة ١٨٩٧ الى ما يزيد عن السبعين الفاً في يومنا هذا · منهم نحو تسعة آلاف من المسلمين و بينهم عائلات عريقة جدًا في النسب كالاسرة الحسينية المتسلسلة من سيدنا الحسين ابن علي بن ابي طالب والاسرة الخالدية نسبة الى خالد ابن الوليد · ونحو عشرة آلاف من المسيحيين بينهم عدد من الارمن والاقباط والالمان والاروام و بعض الاميركان · والباقون يهود من اسبانيا وجزائر الغرب وكردستان ورومانيا واوستريا وروسيا· واكثرهم هاجروا منها الينا في السنين الاخيرة بسبب ضغط بعض تلك الدول عليهم

﴿ ماؤُها ﴾ ولولا قلة المياه في القدس لنمت كثيرًا عن ذلك وصارت ام المدن السورية رغماً عن رداءة فرضتها يافا وقلة محاصيلها لجدب الاراضي حواليها · وهي تستقي ماءها من الآبار الشتائية وقد جرّت اليها الحكومة السنية من مضي ثلاث سنوات مياه برك سليمان الواقعة على مسافة خمسة اميال الى جنوبيها باسطوانات حديدية · غير ان هذه المياه قليلة في جنب حاجة المدينة

﴿ هواؤُها ﴾ جيد على ما اختبرناه بانفسنا وسمعناه من اذكياء الاطباء الموجودين فيها ·وهو معتدل بنسبة ارتفاعها عن سطح البحر

﴿ تاريخها ﴾ يسمح لي القراء ان اكتفي بذكر المهمّ منه بايجاز لانه وان يكن غير خافٍ ما في مطالعة التواريخ المستوفاة من الفكاهة وما يجتنيه المدققون من متابعة ارتقاء وانحطاط البلدان بسلامة وفساد مبادىء الحكام والشعوب وغير ذلك من الفوائد كدرس اخلاق الرجال ومعرفة اطوار البشر فان ذكر ما قلّ ودلّ مراعاة لضيق المقام خير من ترك الكل

اول ما ورد ذكر هذه المدينة في التوراة باسم شاليم مدينة ملكي صادق الكاهن العظيم . ويجدر بنا هنا ان نذكر حكاية عن ملكي صادق الذي لم تذكر لنا التوراة شيئاً عن سلالته . قيل : كان لملخي بن مولوخ ولد اسمه ملخي صادق فطلب اليه ابوه ان يذهب ويصطاد له عدداً من الغنم البرية ليقدمها ذبيحة لابيه مولوخ . فبينما كان الولد ذاهباً لقضاء هذه المهمة خطر له بالهام انه لا يجوز تقديم الذبائح لجده مولوخ الذي كان جباراً عاتياً . فعاد واخبر اباه بما خالج ضميره . فانتهره ابوه وامره بلزوم طاعته . فعاد الولد الى امه واخبرها ظاناً انها تشفع به عند ابيه . غير انها الحت عليه بوجوب تنفيذ اوامر ابيه لئلا يقتله . فضاقت الحيل على الولد ولم يجد سبيلاً في غير الفرار . فهرب من وجه ابيه ولجأ الى كهف في جبل الطور بقرب الناصرة وصمم على انكار ابويه وصلى الى الله ان يقتص منهما وممن يتبع ضلالتهما . فابتلعتهما الارض في معبد مولوخ . وبعد ان اقام مدة اربعين سنة متستراً في كهفه ومتنسكاً جاء مدينة شاليم (مدينة السلام وهي القدس) فوجده اهلها رجلاً صالحاً فاقاموه ملكاً عليهم

ودعيت القدس ايضاً يبوس نسبة الى اليبوسيين الذين لم يقوَ اليهود على طردهم منها وكانت عاصمة لهم حتى قبض داود على صولجان الملك على مملكة اسرائيل كلها فحصنها وجعلها كرسي مملكته وصارت تُدعى اورشليم والمدينة المقدسة ومدينة الملك ومدينة داود وصهيون وورد ذكرها باسماء اخرى كثيرة في التوراة . وبقيت عاصمة المملكة وكرسي الديانة مدة تنوف عن خمسمائة وخمسين سنة حاربها في غضونها المصريون والاشوريون وغيرهم . وفي سنة ٥٦٠ ق.م خربها نبوخذنصر ملك بابل وسبي اهلها وجميع اليهود الى بلاده . ثم بعد غربة سبعين سنة عاد اليهود اليها واعادوا بناء اسوارها وهيا كلها . وفي سنة ٣٣٢ سلمت الى الاسكندر الكبير بدون حرب فدخلها باحتفاء جدير بعظمته وقدّم فيها الذبائح والقرابين بمقتضى الطقوس الاسرائيلية . ثم انتهت الى حكم السلوقيين الذين اضطهدوا اليهود كثيراً ودنسوا هيكلهم بذبح الخنازير على مذبحه فهاجت لذلك احقادهم وتحركت الضغائن وفضّلوا الموت على اهانة شريعتهم فجاهر متثياس الحشموني بالعصيان وكان من احدى عائلات رؤساء الكهنة وحرّض اليهود على ذلك فتبعه بعضهم واستفحل امر ابنائه يهوذا ويوناثان وسمعان وفازوا بمساعدة الامة كلها فخلعوا نير السلوقيين وكان ذلك في اواسط القرن الثاني قبل المسيح . وحاربوهم وابناءهم حروباً مجيدة انتصروا فيها انتصارات باهرة ذكرها يوسيفوس (اخبار اليهود كتاب ١٢ و١٣ وحروب اليهود كتاب ١) . ولكن حب الرئاسة

افضى باختلاف ارستو بيولس وهركانوس · فطلب هركانوس مداخلة بومبيوس القائد الروماني فدخل هذا المدينه بعد قتال شديد مع انصار ارستو بيولس · قال يوسيفوس :ان الرومانيين تعجبوا كثيرًا يومئذٍ مما شاهدوه من ورع كهنة اليهود الذين لم ترعهم جنود الاعداء بهجومها على الهيكل وقتلها كل الذين كانوا فيه بالحراب والخناجر بل بقوا يمارسون وظائفهم الدينية بكل هدوء واحترام · وهكذا قضي على استقلال اليهود بوقوعهم تحت سلطة الرومان الذين قبضوا على ازمتهم بايدٍ فولاذية واقاموا عليهم الولاة الرومانيين· غير ان بعض هؤلاء الولاة عاملوهم بقسود ادَّت بهم الى التمرد والمقاومة فانتهز هيرودس الكبير (وهو ابن انتيباتر رجل ادومي دخل في خدمة الحشمونيين وتزوج منهم) فرصة هذه الاضطرابات والقلق الذي حدث في رومية على اثر قتل الامبراطور. وتداخل مع مرقص وكاسيوس اللذين اتيا سوريا للاستيلاء على فرق الجيوش الرومانية المرتبة للبلاد فولياه على سوريا لانهما شهدا منه اقتدارًا ودهاء سياسيين امّلاهما بالانتفاع منه عند الحاجة · ولكن القلاقل المستمرة اضطرته الى الذهاب بنفسه الى روميه فتمكن بدهائه ومساعدة انطونيوس والاحوال من الفوز برضى القيصر وتسميته ملكاً على سوريا · فعاد اليها وحارب القدس حربًا شديدة وقتل انتيكونوس آخر سلالة ملوك الحشمونيين الذين حكموا في شعبهم اليهود ١٢٦ سنة · وحصن هيرودس سور المدينة الثاني بثلاثة ابراج منيعة سماها هيبيكوس وفاسيلوس ومريمنا واعاد بناء الهيكل وحصن برجه الذي دعاه انطونيا وسيأتي استيفاء الكلام عليه في محله · واقام ابنية شاهقة عظيمة ومحلات ملاهي وملاعب وتماثيل كثيرة في المدينة على الطراز الروماني· غير انه كان كثير المخاوف والشكوك ولذلك لم يسترح هو ولا البلاد التي كان يملك عليها · وقد اغرته وساوسه بارتكاب جرائم فظيعة كقتل امرأته المكابية وولديها وكثيرين من اخصائه واصحابه · وانقسمت المملكة اليهودية بعد وفاته الى اربعة اقسام تولى ارخيلاوس ابنه قسم اليهودية منها ولكنه لم يحسن الادارة فنفي وخلفه ولاة رومانيون· ثم انتهى الملك في ايام القيصرين كايوس وكلود يوس الى اغريباس الاوَّل حفيد هيرودس وكان هذا رجلاً حكيماً تمكن من التسوية بين مطالب الحكومة الرومانية في اخضاع رعاياها لاحكامها خضوعاً تاماً واليهود الذين لم يكن قد مرَّ عليهم الزمان الكافي لنسيان لذة الحرية · وبنى سور المدينة الثالث حول المدينة الجديدة وحصنه بتسعين برجاً · وبعد موته أُعيدت الولاية لولاة رومانيين فجاهر اليهود بالعصيان و بدأوا بتحصين المدينة واتموا بناء سور اغريباس الذي كان اُوقف

بناؤه بامر قيصري. وارسلوا يوسيفوس المؤرخ لحصن الجليل. ولكن لم تعد تقوى الجيوش الرومانية التي كانت في البلاد على اخماد نار الفتنة والقاء اليهود في قيد طاعتهم . فاوفدت لهم روميه فسباسيانوس القائد الشهير لتدويخهم لخارب مدن الجليل واخذها كما سيجيء . ثم علم بموت القيصر فتوجه الى رومه ليتبوأ عرش الامبراطورية تاركاً القيادة لابنه طيطس الذي جاء القدس واصلاها تلك الحرب الحامية اذ احاط اسوارها احاطة السوار بالمعصم وشدّد عليها الهجمات وحبس عنها المؤن وقطع عنها المواصلات . وكان المحاصرون في داخل المدينة مقسومين الى اربع فرق تحارب بعضها بعضاً. وكان زعماؤها يرتكبون فظائع بربرية. فعمّ الويل والبلاء واشتدت في المدينة المجاعات ومع ذلك كان طيطس بالرغم عن شدة بأسه يلاقي اشد الصعوبات في اثناء هجماته على المدينة . وبعد انقضاء شهرين على اقامة الحصار فاز بدكِّ اسوار المدينة الجديدة واستولى بعد ذلك بشهر على برج انطونيا فحرق احد جنوده الهيكل العظيم بشعل نار رماه في داخله. ثم لاقى بعد ذلك مقاومات عنيفة مدة شهر كامل من الذين كانوا يحاصرونه في مدينة صهيون العليا . وبعد ان تمّ له النصر هدم اسوار المدينة وحصونها وابنيتها كلها ما عدا الابراج الثلاثة هيبيكوس وفاسيلوس ومريمنا التي بناها هيرودس فانه ابقاها لاسكان بعض الجنود التي تركها في القدس ولتكون مثالاً لمناعة الحصون التي قويت جنوده على فتحها. واطلق الحرية لاربعين الفاً من اليهود واخذ الباقين وهم نحو ٧٩ الفاً اسرى. وكان ذلك في سنة سبعين بعد الميلاد المسيحي

وفي سنة ١٣٦ بدأ الامبراطور ادريانوس باعادة بناء المدينة ولكنه لم يسمح لليهود بالاقامة فيها بل فرقهم في البلاد خوفاً من عودهم الى العصيان . لكنهم لم يلبثوا ان شقوا عصا الطاعة بامرة رجل يهودي يُدعى باركوخبا واستولوا على القدس وعدة محلات اخر فاسترجع الامبراطور جيوشه التي كانت تحارب بقيادة يوليوس سفروس في بريطانيا وبعث بها الى البلاد السورية فبددت شمل العصاة واستعادت البلاد التي كانوا قد استولوا عليها وعاد هو الى اتمام بناء المدينة وبنى اسوارها على الاسس القديمة الا من جهة الجنوب فانه ضيقها فراراً من الاودية ودعاها كولونيا غاليا كابيتولينا وبنى فيها على اسس الهيكل هيكلاً لجوبتير وبنى هيكلاً آخر للمريخ في محل كنيسة القبر المقدس الحالية . وبقي اسم المدينة الجديد عليها مدة مئتين وخمسين سنة اذ اعاد لها الملك قسطنطين اسمها الاول واذن لليهود بزيارة القدس والدنو من اسوارها ثم اذن لهم بالدخول اليها ليبكوا وينوحوا على خراب هيكلهم المقدس

قيل ان اليهود كانوا في القرون الثلاثة الاولى كلما تشددت ايديهم يضطهدون المسيحيين وقد بالغوا في اضطهادهم اثناء ثورة باركوخبا فاضطر المضطهَدين ان يتحاشوا كل مداخلة معهم وصاروا ينتخبون مطارنتهم من الامم المتنصرين فقط · وكان اسم اول مطران انتخبوه في ايام باركوخبا مرقص فمنه حتى ايام قسطنطين الملك قام ثلاثة وعشرون مطراناً

قال يوسيبيوس ان تنصر قسطنطين ازال عقبات كثيرة من طريق الديانة النصرانية وكان لزيارة امه هيلانة في عجزها للقدس اشد التأثير على النفوس حتى صار الناس يتقاطرون لزيارتها من جميع اطراف المعمور · وفي سنة ٤٣٥ قرر مجمع كاليدونيا جعل القدس كرسي بطريركية وبنى فيها الامبراطور جوستينيانوس في اوائل القرن السادس كنيسة وعدة اديرة ومستشفى للزوار وآخر للغرباء · وفي اوائل القرن السابع اشاع بعض رجال الدين انهم حصلوا على عظام القديسيين فصارت الاديرة تفاخر باحرازها وتبيعها للزوار باثمان غالية · وصارت بعد ما انتشر خبرها في البلدان تجارة مهمة · ومما تقدم يتبين انه مضى على القدس مدة الثلاثة القرون الاول بعد المسيح وهي تحت حكومات امية والثلاثة الأُخر تحت حكومات مسيحية

وفي سنة ٦١٤ استولى خسرو على القدس فاسترجعها هيراقليوس منه في سنة ٦٢٨ وسنة ٦٣٦ حاصرها ابو عبيده قائد العرب فابى بطريركها ان يفتح ابوابها لغير الخليفة نفسه فجاءها الامام عمر بن الخطاب وامَّن اهلها على دمائهم واملاكهم ودخلها وصلى على مقربة من باب كنيسة القبر المقدس حيث شاد المسلمين جامعاً · ولم يرضَ ان يصلي في القيامة نفسها لئلا يطلب المسلمون الاستيلاء عليها بعده · وامر ببناء الجامع الاقصى وصارت المدينة منذ ذلك العهد باسم القدس وبيت المقدس · وفي اواسط القرن الثامن اتصلت الخلافة بالعباسيين فاتخذوا بغداد كرسياً لهم وحدث في ايامهم اضطهاد على المسيحيين دام حتى بداية القرن التاسع اذ تولى الخلافة هرون الرشيد المشهور بالعدالة وكرم الاخلاق فدفع المظالم وسمح للمسيحيين باعادة كنائسهم واديرتهم · ولم يحد ابنه المأمون عن خطة ابيه بعد ما رقي كرسي الخلافة فارتاحت البلاد بظل دولتهما وراجت الاشغال واطمأنت قلوب الناس · غير ان الخلاف بعدهما افضى الى انحلال الدولة العباسية وقيام الدولة الفاطمية التي لم ينتبه خلفاؤها الى القدس وراحة اهلها فاضطُهد المسيحيون مدة خلافتهم وعومل زوار الافرنج بخشونة نشأت عنها الحروب الصليبية المشهورة التي هلكت حملتها الاولى قبل وصولها

الى الديار السورية . واما الحملة الثانية فاستولت على الشواطيء السورية و بعض داخليتها وعلى البلاد الفلسطينية وجعلت القدس عاصمة لها وسمي كودفروى ملكاً عليها . و بقيت البلاد في ايدي الصليبيين مدة ثماني وثمانين سنة قام في غضونها ثمانية ملوك على القدس فبنوا فيها عدة ابنية ومستشفيات وحصون وكنائس وحاربوا المسلمين عدة حروب و بنوا في البلاد عدة قلاع جسيمة منيعة لم تزل آثارها تشهد لهم بالقوة واتقان صناعة البناء . وسنذكر اشهر هذه المحلات في مقالاتنا التالية . وفي سنة ١١٨٧ قام الملك صلاح الدين الايوبي فجمع كلمة المسلمين وساقهم الى محاربة الصليبيين على اثر تعدي امير الكرك على قافلته وانتصر عليهم تلك النصرة الباهرة بعد واقعة حطين الشهيرة الآتي ذكرها فيما بعد . واستولى على القدس وطرد الافرنج منها وحصن اسوارها وحصونها لاتقاء هجمات ريشارد قلب الاسد بطل الحملة الصليبية الثالثة الذي حارب صلاح الدين في عدة مواقع واسترجع بعض المدن البحرية من ايدي المسلمين وانتهت المحاربة بينهما بمعاهدة اعطيت فيها الشطوط البحرية بين يافا وصور للفرنج والغيت الرسوم التي كان المسلمون يأخذونها من زوار الفرنج . وهكذا حُسم الخلاف وعُقد الصلح بين بطلي الشرق والغرب في عصرهما اللذين كانت كرامتهما وانفتهما تجليان صفاتهما وزاياهما الحربية . وفي سنة ١٢١٩ هدم الملك المعظم اسوار القدس خوفاً من ان يستولي الافرنج عليها و يتحصنوا فيها . وسنة ١٢٢٩ اعطيت لفردريك الثاني على شرط ان لا يبني اسوارها غير ان الفرنج بنوها بعد ذلك بعشرين سنة فجاءها امير الكرك وهدمها . وسنة ١٢٤٤ اخذها خرزميان . ولا يخفى ان تداول الايدي واختلاف مشارب العمال عليها والحروب المتوالية والضغط المتبادل حط من عظمتها وقاص ظل تقدمها كثيراً . وسنة ١٥١٧ خضعت البلاد للسلطان سليم فزار القدس بعد عودته من مصر . وسنة ١٥٤٢ بنى السلطان سليمان ما كان متهدماً من اسوارها واحدث فيها وفي ابنية الحرم اصلاحات مهمة . ولم تزل من ذلك العهد حتى يومنا هذا تحت ظل الدولة العلية العثمانية وقد اخذت في هذا العصر تنمو نمواً سريعاً . وربما لا يمضي عليها على ما نظن زمن طويل حتى تصير تضارع اختيها بيروت والشام

الاماكن المشهورة في فلسطين

الحَرَم

هو المكان البالغ في قدميته حد نشأة اول المذاهب الصحيحة . فحق له ان يُدعى مهد الهدى في ارضنا . وقد تداولته ايدي دول المذاهب الثلاثة فاتفق شعوبها على

احترامه وتقديسه · موقعه على جبل الموريا في جهة المدينة الجنوبية الغربية في فناء طوله ١٥٣٠ قدماً انكليزياً وعرضه ٩٧٠ قدماً طبقاً لقياس مجير الدين وهو ٦٩٩ ذراعاً طولاً و٤٠٦ اذرع عرضاً · وذلك يساوي ربع مساحة المدينة الواقعة داخل السور تقريباً

﴿ تاريخه ﴾ في رواية التوراة ان ابرهيم الخليل قصده ليقدم ابنه اسحق ذبيحة عليه · وهناك تراءى الرب لداود فبنى مذبحاً · وحول المذبح بنى سليمان هيكله العظيم · ولما لم يكن سطح الجبل كافياً لبناء هذا الهيكل اقام له جدراناً بناها بحجارة ضخمة جداً بناء متيناً من جهتي وادي يهوشافاط الشرقي ووادي التيروبيون (اي الجبانين) الجنوبي ملأها باقبية كبرى تساوت سطوحها بسطح الجبل فاتسعت المساحة لابنية الهيكل · وكان هذا الهيكل مؤلفاً من قدس الاقداس الذي لم يكن يدخله الا رئيس الكهنة مرة في السنة للتكفير · والقدس قدامه من جهة الشرق وهو المكان الذي كان الكهنة يمارسون فيه وظائفهم الدينية ودار الشعب امام القدس احيطت بجدار فيه اربعة ابواب من جهاته الاربع · ودار اخرى خارجية للامم

وكان الهيكل كله محاطاً بعدة اروقة · وقد كانت تلك الابنية غاية في العظمة والاتقان · وبعد ان اتم سليمان بناء الهيكل في سنة ١٤٤٠ بعد الطوفان وصل بينه وبين جبل صهيون الذي كان قصره مبنياً عليه بجسر كبير فوق وادي التيروبيون · وقد اقتضت الحروب والمحاصرات هدم ذلك الجسر واعادة بنائه مراراً حتى رُدم الوادي واختفت آثار الجسر وبقيت مجهولة الى ان اكتشفها العلامة الدكتور روبنصن الشهير فدعيت من ذلك الوقت باسم (اقواس روبنصن) وآثارها ظاهرة في حائط سور الجامع الاقصى الغربي · — وصار الهيكل بعد بنائه كعبة بني اسرائيل وصار الحج اليه فريضة واجبة ثلاث مرات في السنة على كل اسرائيلي تجاوز السنة الثانية عشرة من عمره

وفي سنة ٥٩٠ (ق م) خربه نبوخذنصر ملك بابل وسبى اليهود الى بلاده واسكن مكانهم السمرة · ولكن اليهود عادوا بعد غربة سبعين سنة كما تقدم وتمكنوا بعد مقاومات شديدة دامت مدة طويلة من اعادة بناء الهيكل · الا انهم بنوه اصغر كثيراً من هيكل سليمان واقل منه ظرفاً واتقاناً · وقد جاء في التوراة ان شيوخهم الذين كانوا يعرفون الهيكل الاول حزنوا وبكوا لما رأوه من حقارة الهيكل الثاني

ولما استقام الملك لهيرودس الكبير بين السنة الثلاثين والعشرين (ق م) رغب في ان يصلح ذات البين بينه وبين اليهود الذين كانوا حانقين عليه لانه قتل انتيكونوس آخر سلالة

ملوكهم الحشمونيين فعرض عليهم ان يبني لهم هيكلاً جديداً يفوق هكل سليمان كبراً وعظمة . فارتابوا بصدقه ولذلك اعدّ مواد البناء قبل ان أُذنوا له بهدم الهيكل الثاني . واقام من وراء جدران سليمان على جانبي الواديين المذكورين جدراناً لتوسيع نطاق المساحة . واقام عوضاً عن الهيكل الثاني هيكلاً كبيراً في غاية الظرف واتقان البناء وضخامة الحجارة المنحوتة وزينه من الداخل اجمل زينة . وقد بالغ يوسيفوس في وصف هذا الهيكل في كتابه اخبار اليهود كتاب ١٥ فصل ١١ وحروب اليهود كتاب ٥ فصل ٥ . وحصن هيرودس الحصن المبني على صخرة شاهقة قائمة في زاوية فناء الهيكل الشمالية والشمالية الغربية وسماه انطونيا تيمناً بانطونيوس قيصر وقد كان امراء الحشمونيون يسمونه باريس . ونحت تلك الصخرة حتى لا يتسلقها الاعداء في وقت الحرب ووضع في البرج شرذمة من العسكر الروماني كان يعززها في مدة الاعياد خوفاً من ثورة اليهود . وهذا هو الهيكل الذي يذكره الانجيل وهو الحصن الذي لاقى امامه طيطس المقاومات العنيفة والوقائع التي تشيب لها الولدان رغماً عن شدة بأس عساكره ودربته الحربية قبل ان تمكن من دكه . وقد حُرق الهيكل في هذه الحرب كما تقدم ولكن لم يكن لطيطس يد ولا رغبة في هذا العمل القبيح

واعاد ادريانوس بناء الهيكل في القرن الثاني وكرسه لجوبتير . وقد قال سائح : انه رأى هيكل ادريانوس ورأى تمثال جوبتير قائماً بجانب الصخرة . وفي بعض الاقوال التاريخية ان القديسة هيلانه بنتْ هناك كنيسة . ولا خلاف في كون جوستينيانوس بنى في القرن السادس كنيسة كبرى منقنة للعذراء في محل الجامع الاقصى الحالي

ثم ان الخليفة عمر ابن الخطاب امر ببناء جامع من خشب بجانب الصخرة ذكره اركولفوس في القرن السابع . وفي سنة ٦٠٨ مسيحية امر الخليفة عبد الملك ببناء قبة الصخرة الحالية الواقعة في اعلى نقطة من فناء الحرم فوق الصخرة بشكل مثمن . واما حيطانها من الخارج فهي مغطاة من الاسفل ببلاط رخامي وقد صفح الاقسام العلوية منها السلطان سليمان بالواح صينية جميلة خُطت عليها آيات قرآنية . والقبة نفسها مغطاة بالرصاص ولها اربعة ابواب كبرى مربعة وامام الباب القبلي رواق مفتوح قائم على ثمانية اعمدة رخامية . واما داخل القبة فقطره ١٧٤ قدماً . وهو مقسوم الى ثلثة اقسام بصفي اعمدة مستديرين . الصف الاول يحتوي على ستة عشر عموداً عليها ثماني قناطر والصف الآخر الامامي القائمة عليه القبة نفسها يحتوي على اثنى عشر عموداً عليها اربع قناطر . وقد غطيتْ قواعد هذه الاعمدة بالرخام في القرن السادس عشر لانها مختلفة الاشكال . والاعمدة كلها رخامية

مختلفة الالوان والحجم وكذلك رؤوسها مختلفة الاشكال . ويرجح انها من اعمدة هيكل ادريانوس ومن كنيسة الملك قسطنطين . واقسام الجدار العلوية مرصعة بالفسيفساء الدقيقة الملوّنة برسوم آنية ازهار وسنابل حنطة وقطوف عنب على ارض ذهبية ترصيعاً يأخذ بمجامع القلوب . وقد قيل ان اشهر صناع البيزانتيين في القرن العاشر صنعوا تلك الصنعة الباهرة . ومما يزيدها جمالاً ورونقاً الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي بلون ذهبي على بحر سماوي . واما الشبابيك فهي صفان الواحد فوق الآخر وكل برواز منها مركب من قطع زجاج صغيرة ملوّنة بالوان عديدة تضعف نور الشمس وتكسره فتبعثه الى الداخل محجوباً خجلاً مما يقابله من جمال وبهاء النقوش الداخلية البديعة . وقصارى القول ان القلم يعجز عن وصف ظرف هذا الجامع واتقان الصناعة الظاهرة فيه . وقد نُقل رسمه في ايام الصليبيين الى اوروبا فشيدت عليه الكنائس في عدة مدن منها . قال لنا جملة من سياح الفرنج الذين زرناه وإياهم . انه يفوق جوامع الاستانة ومصر ظرفاً وبهاء

اما القبة نفسها فعلوها ٩٩ قدماً وقطرها ٦٦ قدماً . وهي مبطنة من الداخل بالخشب الملون بالازرق المزين باقلام الجبسين المذهب . والقبة قائمة فوق الصخرة المقدسة التي يبلغ طولها سبعة وستون قدماً وعرضها ثلاثة واربعون . وهي منقورة في الوسط او قربه ولذا ظن بعض الكتبة ان محل مذبح المحرقة الاسرائيلي كان عليها . واليهود يقولون ان اسم الله مكتوب عليها . وبعض المسلمين يعتقدون انها آتية من الجنة وان الحق عز وجل سيجلس عليها في يوم الدين ليدين البشر . ولقد حوّل الصليبيون هذه القبة الى هيكل بعد ما استولوا على القدس ووضعوا المذبح على الصخرة بعد ان صفحوها بالبلاط الرخامي . وبقيت كذلك الى ايام صلاح الدين الذي اخذها من ايدي الصليبيين واعادها لما كانت عليه . وبقربها بلاطة صغيرة يسمونها بلاطة الجنة . ويوجد ضمن هذا البناء البديع عدة اشياء أُخر صغيرة تستلفت الانظار ولا محل لذكرها هنا

وامام باب قبة الصخرة الشرقي المدعو باب السلسلة قبة اخرى صغيرة جميلة قائمة على صفي اعمدة تدعى محكمة داود . والى الشمال الغربي من قبة الصخرة قبة المعراج . ويوجد ايضاً قبتان صغيرتان تدعيان قبة الارواح وقبة الخضر . وهناك ايضاً منبر مبني من الرخام بناء انيقاً يخطب فيه الائمة في ايام الجمعة

❋ الجامع الاقصى ❋ ويقابل قبة الصخرة التي يدعوها الفرنج جامع عمر الجامع الاقصى (عن الكعبة) واصله كنيسة بناها جوستينيانوس في القرن السادس وحولها الامام عمر بن

الخطاب الى جامع . وقد وجده المهدي في القرن الماضي متهدماً على اثر زلزلة فاعاد بناءه ولكن باختصار في طوله وزيادة في عرضه . وطوله ٢٥٠ قدماً وعرضه مئة وخمسون وهو قائم على صفي اعمدة بيزانتية لا شك في كون بعضها لم يزل قائماً في مكانه من عهد جوستينيانوس

اما قبة هذا الجامع فمصفحة من الخارج بالرصاص وداخلها اشبه بقبة الصخرة بترصيفها بالفسيفساء وتكوين شبابيكها . وبجانب المحراب منبر من خشب مطعم بالعاج واللؤلوء اتى به السلطان صلاح الدين من مدينة الشهباء . ووراء المنبر اثر قدم السيد المسيح . وفي جانبه الجنوبي محراب باسم زكريا تذكاراً لاستشهاده بين الهيكل والمذبح . ودعي قسم من تلك الجهة من الجامع الاقصى جامع الاربعين شاهداً

ويلاصقه من الجهة الغربية جامع النساء المدعو ايضاً الجامع الابيض القائم على صفين من الاعمدة ولعله من بقايا الابنية التي شادها الصليبيون . وتحت الاقصى اقبية بيزانتية قائمة على اعمدة وقناطر قوية متينة البناء يقول بعضهم انها كنيسة القديسة هيلانة ويقول آخرون ان جوستينيانوس بناها لتسوية ارض الجامع . وفي الفناء الوسيع عدة آبار اكتشف على سبع وثلاثين منها . منها بئر الورقة داخل الاقصى وامامه بئر عين الكاس التي كان يأتيها الماء من برك سليمان

☼ **اصطبلات سليمان** ☼ وتحت قسم من هذا الفناء اقبية واسعة مرتفعة قائمة على ثلاثة عشر صفاً من القناطر المبنية بالحجارة الكبرى تدعى اصطبلات سليمان . ولعلها استخدمت لهذه الغاية في زمن الصليبيين . ومن شكل بنائها يُستدل انها من القرن السادس بعد المسيح . والمسلمون يدعونها المسجد القديم . وفي جدارها الشرقي عند اسفل الدرج بعض حجارة ضخمة قديمة يعتقد الخبيرون انها من بناء هيرودس . قالت جمعية البحث عن الآثار الفلسطينية : ان بناء الباب الجميل وعدة من اقبية الآبار التي ذكرناها ترجع الى القرن السادس

☼ **موقع الحرم القديم والحديث** ☼ اجمعت آراء المدققين على كون دائرة الحرم هي ذات دائرة الهيكل الذي بناه هيرودس . لان الصخرة الكبرى الواقعة في زاوية الدار الشمالية الغربية التي يقول يوسيفوس ان الحشمونيين بنوا عليها برج باريس الذي حصنه هيرودس لم تزل قائمة شاهداً بعدم تغيير تلك الزاوية . وقال يوسيفوس ان اروقة هيكل هيرودس امتدت من الوادي الى الوادي . وان سور الارفل اتصل باروقة الهيكل الشرقية . وقد اكتشف السير تشارلس ورن حائطاً على تل الارفل ملاصقاً لسور الحرم في

زاويته الجنوبية الشرقية فجاء اكتشافه هذا مؤيداً القول يوسيفوس ولكون الفسحة لم تتغير من تلك الجهة ايضاً . ولم يختلف الثقاة في كون الزاوية الجنوبية الغربية الحالية هي في مكان الزاوية القديمة ولكنهم اختلفوا في الزاوية الشمالية الشرقية . فمنهم من قال بكونها على مكان الزاوية القديمة وخالفهم آخرون بقولهم ان القديمة كانت عند الباب الجميل

وقد اتفق اكثر الرواة على كون قدس الاقداس كان قائماً على الصخرة المقدسة معتمدين في ذلك على مناسبة موقعها . وقول يوسيفوس بان قدس الاقداس كان في أعلى نقطة من دائرة الهيكل التي هي الصخرة . وكل الاقيسة لجميع الامكنة التي ذكرها يوسيفوس تطابق المواقع الحالية بنسبتها الى علو الصخرة . وخالفهم البعض في ذلك متخذين لتأييد آرائهم براهين اخرى لم يحتفل بها الرأي العام

البراق

محل نواح اليهود

يأتي اليهود في عصارى كل الايام خصوصاً في ايام الجمعة لينوحوا على زوال مجدهم فيقفون امام هذا الجدار وهو قسم من جدار سور الحرم بجانب زاويته الجنوبية الغربية . علوه ست وخمسون قدماً وحجارة قواعده السفلى كبيرة جداً . وقد اثرت عليها فواعل الطبيعة والزمان حتى بالغ بعضهم في قدميتها فقالوا انها من ايام هيرودس . وهناك يبكون على حالتهم ويتذكرون ازمانهم ويصلون الى الله ان يعيد لهم سابق مجدهم وهذا بعض ما يقولونه باصوات حزينة وبكاء مر

(يقول الحاخام) من اجل الهيكل المقدس العظيم (فيرد الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل اسوار هذه المدينة الساقطة (« الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل مملكتنا التي بادت (« الجماعة) نقف بذلة وننوح
(« الحاخام) من اجل رؤسائنا الذين ماتوا (« الجماعة) نقف بذلة وننوح الخ

ثم يقول آخر

(حاخام) آه تحنن على صهيون (الجماعة) واجمع شتات ابناء اورشليم
(حاخام) اعد سابق مجدك لصهيون (الجماعة) وانظر مترحماً اليها . الخ

ثم تُقرأ مراثي أُخر وتُقدم صلوات عديدة كهذه في هذا المكان . ولا ريب ان هذه العادة نشأت من بعد صلاة سليمان التي قدمها امام المذبح بعد فراغه من بناء الهيكل . ومضمونها انه مهما اشتدت الضيقات على شعب اسرائيل وصلوا الى الله باسطين ايديهم

نحو الهيكل فان الله يستجيب لهم · وقد تقدم القول ان ادريانوس منع اليهود من دخول اورشليم والدنو من اسوارها · واما قسطنطين فقد سمح لهم بالدخول اليها لينوحوا على خرابها وخراب الهيكل · ونعلهم اختاروا هذا المكان لهذه الغاية من ذلك العهد · وقد اشار بنيامين توريلا في القرن الثاني عشر الى هذا الحائط · غير ان الكتبة المسيحيين والمسلمين لم يعيروه جانباً من الاهمية · فلم يأْتوا على ذكره البتة

كنيسة القيامة

وقبر المسيح

قال يوسيفوس: ان ادريانوس بنى في هذا المكان هيكلاً للمريخ وانه اوحي الى قسطنطين بعد ان تنصر ان يطهره من ادناس الوثنيين وان يقيم عليه كنيسة · فبناها فوق القبر وزينها بالاعمدة والنقوش الجميلة وبلط فسحة امامها من جهة الشرق ببلاط منحوت رمزاً الى البستان الذي صُلب فيه السيد · واقام الكنيسة على صخرة الجمجمة او الجلجلة شرقي الفسحة وصفح حيطانها بالرخام الملون وزين سقفها بنقوش حفرية انيقة حلاها بالذهب وغطى السطوح بالرصاص وجعل لها ثلاثة ابواب كبرى من جهة الشرق واقام امامها اثني عشر عموداً بشكل نصف دائرة تذكاراً للتلاميذ · وفي سنة ١٤٦١ احرق العجم في غزوتهم بقيادة خسرو الثاني هذه الابنية بالنار ولكنها اعيدت بمساعي راهب يدعى مورستوس وبمعاونة بطريرك الاسكندرية سنة ٦٢٨ · وفي سنة ٨٧٠ ذكر برنهارد فيضان النور من القبر المقدس في يوم السبت الواقع قبل عيد الكبير عند الطائفة الشرقية · وسنة ٩٦٩ احرقت القيامة بالنار فبنى تجار املفي من اعمال ايطاليا سنة ١٠٠٤ ديراً وكنيسة للعذراء على مقربة من القبر المقدس · وبني بعد ذلك دير للراهبات بالقرب من هذه الابنية · ثم اقتضى الامر بناء مستشفى للزوار وعُزي الى يوحنا اليمون بطريرك الاسكندرية · وفيه تأَلفت في عهد الصليبيين فرقة فرسان ماري يوحنا حامية القيامة · وهذا هو المكان الذي وهبته الحكومة لجد امبراطور المانيا الحالي فاقام هذا على قسم من آثاره كنيسة احتفل بتدشينها بحضور جلالته · وفي سنة ١٠١١ خرب القيامة حاكم الرملة وقد كان يسمى رئيس جند فلسطين فاعيد بناؤُها بتوسط الملك رومانوس في سنة ١٠٤٨ · واحاط الصليبيون جميع ابنيتها بهيكل كبير اذ شاهدوا حقارتها · وسنة ١٢٤٤ خربها خرزميان فبُنيت سنة ١٣١٠ بغاية الاتقان · وفي سنة ١٨٠٨ التهمت النيران كنيسة الارمن فيها وقبة القبر المقدس وكنيسة الروم الارثوذكس واحدثت اضراراً غير يسيرة في عدة محال اخر ولكنها اعيدت في مدة سنتين الى ما كانت عليه من

الظرف باحكام زائد حتى صار يتعذر التمييز بين ما أُصلح وما كان

❋ الكنيسة الحالية ❋ هي تختص بالروم الارثوذكس والارمن والكاثوليك والاقباط والسريان واشهر ما فيها كنيسة الجلجلة الى جنوبي الباب وهي مقسومة الى قسمين قسم منها يختص بالروم الارثوذكس والآخر بالكاثوليك . وكنيسة الارمن الى شماليه . وامامه من الشرق كنيسة الروم الارثوذكس وهي اكبر الكنائس واجملها بما فيها من النقوش والزين والثريات الثمينة . وامام هذه من الشمال القبر المقدس القائمة عليه القبة الكبرى وهو مبني بالرخام الجميل ومزين بالقناديل الذهبية والفضية والمعدنية . والى الشرق منه الكنيسة الكاثوليكية وفيها العمود الذي رُبط اليه السيد ليُجلد ووراء هذه الابنية من جهة الجنوب كنيسة بيزانتية لم تزل اعمدتها تشهد بكونها من ايام مورستوس وهي التي بناها على آثار كنيسة قسطنطين . ويُنزل من هذه الكنيسة بثلاث عشرة درجة الى المغارة التي اكتشف فيها قسطنطين خشبة الصليب . و يوجد محلات اخر عديدة تستحق الذكر ولكن ضيق المقام يلجئنا الى ان نضرب صفحاً عنها

❋ البحث في صحة موقعها ❋ يعتقدون بصحة هذا المكان منذ القديم معتمدين على رواية يوسيبيوس التي ذكرناها . وعلى الاقوال التقليدية بكون القديسة هيلانة هي التي اوحي اليها بناء الكنيسة قبل قسطنطين ابنها . وعلى كون الوثنيين وفي مقدمتهم ادريانوس في الجيل الثاني بنوا هيكلاً لالهة اخرى في هذا الموقع بالنظر لما رأوه من احترام المسيحيين الاولين له . ويتخذون مثل هذه الادلة برهاناً على كون التاريخ لم يُضع تلك النقطة فلم يبق باب للاشتباه بها . فضلاً عن كونهم يعتبرون المدافن القديمة التي اكتشفت داخل الكنيسة اليعقوبية المنقورة في الصخر مدافن ليوسف ونيقوديمس . ولا يشكّون في كون الباب المكتشف على مقربة من القيامة في الجهة الجنوبية الشرقية هو باب سور المدينة الثاني . وعلى ذلك يكون موقع القيامة الحالي واقعاً خارج الاسوار القديمة . وقد عارضهم الكتبة المتأخرون وفي مقدمتهم كانون وليمس والسر تشارلس ورن والدكتور روبنصن والجنرال غوردون بقولهم : اذا فرضنا ان موقع القيامة الحالي هو خارج السور الثاني القديم فلا بد ان يكون رسم ذلك السور مغايراً من جميع الوجوه للاصول الفنية والعسكرية في بناء الاسوار . وقال آخرون : هب ان محل القيامة كان خارج السور الثاني فلا شكّ انه كان واقعاً بين ابنية المدينة الجديدة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت حتى اضطر اغريباس الاول بعد ذلك بقليل الى احاطتها بسور ثالث لوقايتها . ومعلوم ان اليهود لم يكونوا ليرضوا

بوجود محل عقاب المجرمين فيما بين بيوتهم لان ذلك محرم عندهم · وقالوا ايضاً ان حالة المدافن الموجودة في كنيسة اليعقوبيين تدل على كونها اقدم كثيراً من عصر المسيح · و يعترضون على الباب المكتشف حديثاً والمظنون بانه باب السور الثاني بانه ربما كان باب الهيكل الذي بناه الصليبيون حول ابنية القيامة · وليته اكتُشف وهم بعد في البلاد ليتمكنوا من الحكم عليه من حيث هيئة بنائه التي يمكن الاستدلال منها على قدميتها · ولعل بعض الخبيرين بهذا الفن يجلو لنا حقيقة ذلك · ورأي هؤلاء المعارضين ان التل المحفورة تحته مغارة ارميا خارج باب العمود شمالي السور يلائم من جميع الوجوه موقع الصلب · فانه شبيه بهيئة الجمجمة وهو على قارعة الطرق وخارج المدينة · وقد اكتشفت حوله مدافن يُستدل من شكلها انها من نوع المدافن التي كانوا يستعملونها في الاعصر المسيحية الاولى· على اننا نؤمل ان تسفر الابحاث المستمرة عن رفع كل اعتراض عن موقع القبر المقدس الحالي الذي لم يختلف فيه المسيحيون حتى القرن الثامن عشر

محلات اخر يوجد عدة محلات اخر جديرة بالذكر كدير الارمن وفيه كنيسة مار يعقوب وهو اكبر بناية داخل اسوار المدينة · ويُظن انه قائم على آثار برج مريمنا وقبر النبي داود وكنيسة العشاء الرباني وهما خارج السور· وهذه المحال الثلثة واقعة على جبل صهيون · والى شرقي المدينة جبل الزيتون وفي سفحه فوق وادي يهوشافاط بستان جثسيماني وعلى قمته محل صعود السيد ومنارة روسية شاهقة تطل على كل الامكنة المجاورة · والى الشمال من المدينة في طرف ابنيتها الجديدة قبور السلاطين ودُعيت بذلك غلطاً لان ملوك يهوذا دُفنوا على جبل صهيون· وقد ثبت انها قبور للملكة هيلانة ملكة اديابيني (بلاد في العربية) تمذهبت بالمذهب اليهودي في القرن الاول ق · م وجاءت القدس مع امراء اسرتها وحفرت في ذلك المكان آباراً وداراً واسعة ومغارة امامية فتحت في جوانبها الاربعة ابواباً الى مغائر اخر داخلية وجعلت فيها دكاناً لوضع النواويس وكل تلك الحفريات في صخر واحد كبير ·و باب هذه المغائر كحجر الرحى قائم على حرفه يدحرج على باب القبر وعنه · وقد اكتفينا بالاشارة الى هذه الاماكن واغضينا عن اخرى تاريخية وغير تاريخية خوفاً من ملل القراء ومراعاة لضيق المقام

ولو لم تكن القدس وما ذكرناه عنها ذات اهمية كبرى لما اطلنا الكلام عليها · ولا نظن غير القدس من المدن والاماكن الفلسطينية التي سنتكلم عنها تضطرنا الى اسهاب كهذا الاسهاب

سيبيريا والنفي السياسي اليها

(وكلام سائح انكليزي ساح فيها)

لحضرة الياس افندي خليل عبساوي ب٠ع

قيل ان سجن ملوك فرنسا العلماء والادباء والابرياء في سجن الباستيل المشهور هو الذي دفع الشعب الفرنسوي الى الثورة الفرنسوية التي قلبت وجه العالم وخرج منها الاصلاح السياسي ٠ واذا كان هذا القول صحيحاً فقد جاز ان نقول ان نفي روسيا الناس الى سيبيريا كان له شيء من ذلك التأثير على السياسة الروسية التي بدأ فيها الانقلاب الذي نراه٠ لان سيبيريا عند الروس كانت تقابل الباستيل عند الفرنسويين ٠ ويسرّ كل محب لهذه الدولة العظيمة ان يراها قد دخلت الآن في طريق الاصلاح بالمنشور الذي نشره جلالة القيصر منذ مدة يعلن فيه رغبته الشديدة في اصلاح احوال الامة التي وضعها الله في ذمته٠ ولقد رأيت لهذه المناسبة ان الخص شيئاً عن سيبيريا ومنافيها السياسية واحوالها القديمة والحديثة ومنه يطلع القراء على التحسين المستمرّ في احوال روسيا

تمهيد

سيبيريا والمسجونون السياسيون

سيبيريا واقعة في القسم الشمالي من قارة آسيا٠ وهي بلاد واسعة الاطراف تتخللها الانهر في كل جهاتها ويغطيها الثلج خصوصاً في شماليها مدة طويلة من السنة ٠ وسكانها يبلغون عشرة ملايين نفس نصفهم من السكان الاصليين والنصف الآخر روسيو الاصل ممن اضطرتهم حكومة بلادهم للاقامة والتوالد هناك٠ والبلاد خصبة في اكثر جهاتها خصوصاً القسم الغربي منها٠ ويبدأ تاريخ خصبها بابتداء مهاجرة التجار وخصوصاً الالمان اليها منذ مدة قريبة٠ وبذلك اصبحت البلاد تضاهي بمدنيتها كثيرًا من البلاد الاوروبية حتى ان في بعض مدنها الكبيرة كاركيتسك وتومسك ملاعب متقنة لتمثيل الروايات ومطاعم وفنادق كما في احسن البلدان الاوروبية مما يسلي المهاجرين عن اوطانهم

وقد افتتحت روسيا سيبيريا في سنة ١٦٥٨ وجعلتها من حين افتتاحها مستعمرة تنفي اليها المجرمين السياسيين والمذنبين وغيرهم ممن كان يقع عليهم سخط القياصرة والحكام ٠

فبطرس الاوّل كان يُبعد اليها العصاة افواجاً افواجاً · ثم حكم بعده بعض الملكات فكنَّ ينفين اليها من اذنب اليهن من اهل البلاط · ثم جاءت الملكة كاترين المشهورة واخذت ترسل اليها البولانديين زرافات زرافات بدون ادنى رحمة او شفقة · ثم بعدذلك صار يُنفى اليها النهليست والسوسياليست وغيرهم مما كان يُشتبه في امرهم · ولكن عددالمنفيين كان قليلاً حتى القرن الثامن عشر حين ابتداء عددهم يزيد زيادة كلية · الا ان عددهم لم يكن يُعرف تماماً قبل سنة ١٨٢٣ لانهم لم يكونوا يعملون احصاآت رسمية كما في الوقت الحاضر · ولكن من المحقق انه في ابتداء القرن التاسع عشر كان يُنفى الى سيبيريا كل سنة نحو الفي رجل · وابتداءً هذا العدد يزيد حتى صار بين سنة ١٨٧٣و١٨٧٧ ١٨٠٠٠ كل سنة · وفي سنة ١٨٨٢ اي حين اغتيال المأسوف عليه القيصر اسكندر الثاني بلغ عدد المنفيين ٢٠٠٠٠ ماعدا نساءهم واولادهم الذين تبعوهم وعددهم ٦٠٠٠ · ومن هئولاء المنفيين من يُحكم عليه بالاشغال الشاقة ومنهم بسقوط الحقوق المدنية ومنهم بالنفي فقط · اما الذين يحكم عليهم بالاشغال الشاقة فيوزعون بين مناجم الذهب ومعامل الملح في كارا وازوليا · ولما كانت هذه المناجم والمعامل لا تسع اكثر من ١٠٠٠٠ رجل فيرسل الباقون الى سفاليان حيث يشتغلون في مناجم الفحم · وبعد قضاء مدة سجنهم يصير للمنفيين الحق بان يسكنوا في الضياع والقرى · ويظهر من الاحصاآت الرسمية ان عدد الذين نُفوا منذالابتداء الي اواخر القرن التاسع عشر يقارب مليوني نفس وثلث هذا العدد لم يعد يُسمع عنه خبر بعد نفيه · ويقال انه كان منذ مدة ٢٠٠٠٠ منفي يواصلون السير في الاحراش كي يرجعوا الى بلادهم ولكن كثيرين من هئولاء يتيهون فيموتون في تلك الاحراش وتذهب آثارهم

ولكن المنفيين اقل كثيراً مما يظن · ففي مقاطعة توبولسك يبلغون ٤٦ في المئة من السكان وفي مقاطعة تومسك ٢٩ وفي غيرها اكثر · ولكن المعدل ٤٩ في المئة من السكان · وقد كان المنفيون يُسامون في الابتداء اشد العذاب ويعاملون ارداً المعاملة ولكن في السنين الاخيرة تنبهت الحكومة لذلك واخذت في اصلاح حالة المسجونين وجعل السجون مطابقة للاصول الهيجيينية كغيرها من سجون اوروبا · والفضل في كل ذلك للفيلسوف تولستوي الذي اذا لم يكن من فوائد قلمه غير هذا الاصلاح لكفى ذلك لوضعه في جملة المصلحين العظام في المجتمع الانساني · وقد عثرتُ في احدى المجلات الانكليزية على مقالة بقلم احد سياح الانكليز زار في خلال هذه السنة اعظم سجون سيبيريا بعد ان استأذن الحاكم العام في ذلك · فرأيتُ من الفائدة تلخيص مقاله · قال :

اعظم سجون سيبيريا

« لستُ انسى في كل حياتي تلك الليلة التي سافرتُ فيها من مدينة اركتيسك (عاصمة سيبيريا الوسطى الواقعة على مسافة ٤٠٠٠ ميل من شرقي موسكو عاصمة بلاد الروس القديمة) لاشاهد اعظم سجون سيبيريا وهو سجن « الكسندروفسكي » وكان البرد قارصاً والرياح تعوي عواء الذئاب اما الشتاء فانه في تلك البلاد يمتد الى ثلثي السنة ويشتد فيه البرد حتى لا يستطيع الاّ القليلون ان يسكنوا تلك الاصقاع . والاهالي انفسهم لا يكادون يقوون على احتماله فيلتفون بالفرو من قمة الرأس الى اخمص القدم بحيث يصعب التمييز بين رجالهم والنساء

وقبل زيارتي لذلك السجن كنت اعتقد كما يعتقد لحد الان كثيرون غيري من الانكليز انني سارى هناك اشخاصاً يساقون للموت قسرًا بسبب المعاملة الرديئة التي يذيقها اياهم الجنود والضباط الموكلون بحراستهم . وانني ساسمع علاوة عن تنهدات اولئك المساكين التي تتفطر لها القلوب جلجلة السلاسل الحديدية التي تربطهم بعضهم ببعض . ولما استأذنت من حاكم اركتيسك العام بزيارة السجن كنت منتظرًا ان يصادف طلبي رفضاً باتاً لعلمي ان الروس يريدون ان يخفوا عن العالم المتمدن تلك المعاملة التي يعاملون بها المنفيين . ولكن كان استغرابي عظيماً حين الفيت منه بدلاً من الرفض البات كل التسهيلات والمساعدات الممكنة

وسجن الكسندروفسكي هذا واقع على مسافة ٥٠ ميلاً من شمالي اركتيسك وصار الاتفاق ان اسافر اليه ليلاً مع احد موظفي السجون لانه لا يوجد في الطريق من محاسن الطبيعة ومناظرها الجميلة ما يرغب المسافرين بالسفر اليه نهارًا . فتسلح كل منا بالمسدسات اللازمة للطريق خوفاً من ان يهاجمنا بعض الذين اتموا مدة نفيهم واتخذوا لانفسهم بعدها حرفة اللصوصية . ذلك لان الحكومة الروسية لا تكلف نفسها ارجاعهم الى بلادهم بل تتركهم وشأنهم فيرجع منهم القليل ويقصد البعض امهات المدن السيبيرية فيجدون اشغالاً فيها . اما الاكثرون فيحترفون حرفة اللصوصية وقاطعي الطرق فيتعرضون للمسافرين ويقتلونهم ويسلبون امتعتهم ونقودهم . وسكان المدن انفسهم ترى كثيرين منهم من الاشقياء لان سكان سيبيريا ويبلغون عشرة ملايين نفس نصفهم اما من المجرمين الذين اكملوا مدة سجنهم او من نسلهم . ولما كان « العنب لا يُجنى من الشوك ولا التين من الحسك » فلا يُنتظر اذًا ان يكون هؤلاء ادباء مهذبين . ولكن قد قدرت العناية الالهية ان لا نصادف في طريقنا احد هؤلاء اللصوص . فوصلنا الكسندروفسكي الساعة الرابعة في الصباح بعد ان ذقنا في اثناء سفرنا مرارات البرد القارص

واول شيء وقع عليه نظري كان كنيسة ارثوذكسية كبرى سقفها مغطى بالثلج · اما المكان فكان هادئاً لا يُسمع فيه غير وقع حوافر افراس يعلوها بضعة انفار من القوزاق المنوط بهم حراسة السجن · والسجن نفسه كان مظلماً كالقبر وهادئاً لا يُسمع منه ادنى حركة او صوت · وقد رأينا تجاه السجن بناء جميلاً هو منتدى للاجتماعات · فاوقفنا المركبة ودخلنا اليه · وما وقفت بنا المركبة حتى طلع من ذلك المكان عدة اشخاص كانوا من المجرمين الذين اختاروا ان يستبدلوا سجنهم بالخدمة في ذلك النادي وهي نعمة عظمى عند المنفيين لا ينالها منهم الا من كان سلوكه حسناً وحاز رضى رؤسائه · وقبل ان اشرح ما رأيت في سجن الكسندروفسكي لا ارى بداً من الاشارة الى سجون سيبيريا على الاجمال والمنافع التي تعود على روسيا من ارسال المجرمين اليها .

سجون سيبيريا على الاجمال

من المعلوم ان كل البلاد الواقعة الى شرقي جبال اورال التي تفصل روسيا عن آسيا كانت قبل امد غير بعيد لا يُعرف عنها شيء · فكان يظنها الاوربيون بلاداً قاحلة تكسوها الثلوج على مدار السنة · ويملأها الظلام عدة اشهر من كل عام · ولما كان الحكم بالقتل قليلاً جداً في بلاد الروس ارتأت الحكومة الروسية ان تبعد كل المجرمين من لصوص وقتلة وغيرهم ممن يُغضبون جلالة القيصر الى تلك البلاد المخيفة فلا يرجع منهم الا القليل وبهذا تتخلص الهيئة الاجتماعية من شر اعضاءها الاشرار او الذين يُحسبون اشراراً · ولذلك كان الاهالي قبل امتداد السكك الحديدية في سيبيريا يتجمهرون حول المجرم يوم سفره فينسون جرمه مهما كان كبيراً ويقدمون اليه بسخاء المال والطعام ظناً منهم ان ذلك المنكود الحظ ذاهب الى سيبيريا ليُقبر فيها حياً · وهذا ماجعل الاوربيين يبالغون في وصف المعاملة السيئة والعذابات التي يتحملها المنفيون · ولكن كما انه في المدة الاخيرة وخصوصاً بعد الشروع في عمل السكة الحديدية السيبيرية ذهب منا كثيرون الى سيبيريا فطرحوا اعتقادهم السابق وصاروا يعرفون جيداً انها ليست البلاد التي كانوا يظنونها قبلاً وانها بلاد خصبة طيبة الهواء خصوصاً في ايام الصيف هكذا زيارتي لسجون سيبيريا وان يكن في تلك السجون شيء كثير قابلاً للنقد واللوم لكنها جعلتني انبذ تصوراتي القديمة بخصوصها · فروسيا متأخرة قرناً كاملاً في الحضارة والمدنية عن باقي رصيفاتها الاوربيات · ومنذ زمن قريب كانوا يعاقبون في سجونها عقابات صارمة جداً · فكانوا مثلاً يجلدون المذنب جلداً يهون عنده الموت حتى ان جلاداً ماهراً من جلادي سيبيريا يقدر ان يذيق المجلود حتفه بستة

اسواط فقط . والمنفي بعد ان يُسجن المدة المحكوم عليه بها يصرح له بترك السجن على شرط ان يبقى في سيبيريا مدة معينة قبل ان يُسمح له بالرجوع الى بلاده . ويحق لزوجة المنفي ان تعتبر نفسها طليقة بحسب الشريعة الروسية ولكنها اذا ارتأَت ان تتبع زوجها تنقلها الحكومة مع اولادها بدون اجرة . وهناك تسكن مع اولادها في القرية الاقرب للسجن (ويوجد في اغلب الاحيان قرية بجانب كل سجن) والحكومة لا تساعدها الا بدفع ثلاثة ارباع البنس (٤ مليمات) في اليوم عن كل واحد من اولادها ولكنها تعطيها ثياباً لتخيطها او لتغسلها فتنتفع باجرتها . والزوج اذا حاز رضى رؤسائه يُسمح له في كثير من الاحيان ان يذهب و يسكن مع عائلته وان يشتغل ليقوم بمعاشها . والقسم الاكبر منهم لا يرجعون الى روسيا عند قضاء مدتهم بل يفضلون البقاء في سيبيريا . ولما صار في المدة الاخيرة يقصد روسيا كثير من التجار الروسيين جعلوا يرفعون العريضة وراء العريضة طالبين من جلالة القيصر ان لا يرسل اليهم « اوباش البلاد » فقبل جلالته اخيراً وامر ان لا يُرسل اليها بعد الآن سوى المجرمين السياسيين والمجرمين المحكوم عليهم بالسجن المؤبد . اما الباقون فيعاقبون في مدنهم كما في باقي الممالك . واكثرهم الآن يُنفى الى جزيرة سفاليان الواقعة على الساحل الشرقي . وفيها اردأ السجون حتى اذا دخلها المجرم لا يبقى له بارقة امل بالخروج منها حياً . وحالما يدخلها يُلغى اسمه ويسمى بدل الاسم بعدد يميزه عن غيره . ولا يُسمح له بمخالطة احد من اقاربه واصدقائه . وحين يموت لا يعلم اهله بموته . فهو بالنسبة الى العالم ميت بصورة الاحياء . اما معاملة المجرمين والقصاصات التي تُنفذ فيهم فهي ليست من القساوة بالدرجة التي يتصورها البعض . وانا لا الوم الحكومة الروسية سوى لابعادها الى سيبيريا المجرمين السياسيين او بعبارة اخرى اصحاب الافكار الحرة واكثرهم من تلاميذ الكليات الذين يريدون ان ينشروا مبادىء الحرية والصلاح ولو بواسطة « الديناميت » . فهؤلاء الاحداث والشبان الذين تتقد في صدورهم نار الحرية يطلبون الاصلاح بواسطة الثورات كما كنا نعمل في حداثتنا حين كنا في المدارس . ولكن الحكومة الروسية بدلاً من ان تعير هؤلاء الاحداث (اقول احداثاً لاني شاهدت كثيراً منهم في الخامسة عشرة والسادسة عشرة من العمر) اذناً صاغية وتنظر الى مطالبهم بعين الرضى والاستحسان تبعدهم الى سيبيريا لكي تموت تلك العواطف الشريفة من نفوسهم مدة السجن . وقد تحادثت ملياً مع كثيرين منهم فاخبروني انهم يتأسفون جداً لهذا الضغط التي تضغطه روسيا على الافكار الحرة . ولم يزيدوا على هذا ولا تذمروا من معيشتهم . وهؤلاء « السياسيون » لا يُلقون في السجون مع غيرهم من

المجرمين المدنيين بل لهم سجون خاصة بهم . ويُسمح لهم بقراءة الكتب غير الاجتماعية والسياسية منها . وهم عائشون معاً كعائلة . وبالاختصار ان معاملتهم ليست كما يُظن . وحين تنتهي مدة سجنهم يبقى اكثرهم في سيبيريا حيث يجدون وظائف عديدة لانهم كما تقدم القول من المتنورين . و يمكن ان اقول بدون مبالغة ان ٨٠ في المئة من اصحاب الوظائف المهمة الذين صادفتهم مدة وجودي في سيبيريا هم من المجرمين السياسيين الذين انهوا مدة سجنهم

سجن الكسندروفسكي

ولنعد الآن الى وصف ما شاهدته في سجن الكسندروفسكي . فبعد ان استرحنا قليلا ذهبنا لمشاهدة السجن المذكور فدخلنا غرف النوم فالفيناها واسعة جداً ويفصل الواحدة عن الاخرى ابواب حديدية غاية في الفخامة . ولاحظتُ ان الفريق الاكبر من المسجونين رجالٌ اقوياء البنية ووجوههم مطبوع عليها علامة المجرمين . وكان كل واحد منهم لابساً رداءً من اللباد . ولما كانت هذه الملابس تُصنع كلها على قياس واحد فكنت ترى امامك صوراً مضحكة . وقد استنتجت انهم لا يخافون الموظفين كما كنت اظن قبلاً وان جميع الموظفين غاية في اللطف معهم . ثم ذهبنا لورشة الصنائع فوجدنا المجرمين يشتغلون بعمل ثياب واحذية واثاث بيوت وغيرها . وقد اخبرني الحاكم ان اثاث القسم الاكبر من بيوت اركيتسك هي من صنع سجن الكسندروفسكي . وفي كل واحدة من الغرف كنا نجد معلقاً على الجدران الايقونات الكنائسية (الصور) كما هي العادة عند الروسيين . وقد رأيت بين عداد المسجونين ٢٠٠ من مسلمي البلاد التابعة لروسيا كبلاد التتر وبخارى وكرجستان وغيرها ويُسمح لهؤلاء ان يكرسوا يوم الجمعة للعبادة و يسمح لليهود ان يعيدوا السبت ايضاً. ومن الغريب انني وجدت في جملة المنفيين اليهود رجلاً انكليزي الاصل كان قد ذهب الى روسيا بقصد الاتجار فابتداء هنالك يزور اوراقاً مالية ويقلد تواقيع الناس فحكمت عليه الحكومة الروسية بالابعاد ١٦ عاماً الى سيبيريا

وقد سألت الحاكم عن الوسائط التي يتخذها لكي يدفع الضجر والسآمة عن المنفيين . فاخذني الى غرفة واسعة فيها رفوف كتب مختلفة المواضيع وفي وسطها موائد عليها جرائد ومجلات تصويرية . وكان حول الموائد كثيرون من المسجونين يتفرجون بمشاهدة الصور في المجلات . ويوجد معلم خصوصي لتعليم من اراد منهم القراءة والكتابة . ولما آنست من الحاكم هذه المعاملة اللطيفة لهم احببت ان امزح معه فقلت له « يظهر لي انكم تعاملون هؤلاء المذنبين معاملة تكاد لا تصدق فلماذا لم تبنوا لهم ملعباً للتمثيل يتسلون به » فاجابني الحاكم

على الفور « عندنا لهم ملعب للتمثيل » ثم اخذني الى قاعة جميلة وقال لي « في كل اسبوع يجتمع المسجونون الذين كان سلوكهم حسناً فيمثلون روايات هزلية » ثم طلب مني ان لا اذكر شيئاً عن هذا الملعب في كتاباتي لئلا يستاء من ذلك رؤساؤه في روسيا · وقال لي « يذكر لي بعض السياح الذين يأتون لزيارة السجن هنا انني اعامل المسجونين بلطف كلي ولكني في الحقيقة لا اعمل سوى الواجب · لان المقصود من السجن ليس العقاب فقط بل جل القصد منه ان يعلم السجين ان يكون نافعاً بعد ان يترك السجن · ولذلك فانا لا افرض على احدهم شغلاً لا يعود بفائدة عليه · وقد علمني الاختبار ان اللطف يؤثر بالمجرمين فيحسّن سيرتهم و يجعلهم يفتخرون بصنائعهم التي يتعلمونها هنا »

ثم زرت المطبخ فوجدته نظيفاً والاكل مغذياً ولذيذاً · وبعده زرت المستشفى حيث لاحظت ان اغلب المرضى مصابون بالتدرن الرئوي · ثم ذهبت الى المدارس التي يتلقى فيها ابناء المجرمين المعارف والصنائع وسررت جداً من النظافة والاتقان في كل المحلات · ولا ريب ان صنيعاً كهذا يشفع بالمعاملة السابقة في الازمنة الماضية مهما كانت درجتها من الشدة

سجن النساء السياسيات

ولاتمام الفائدة لا ارى بدّاً من ان اذكر قليلاً عن سجن النساء في اركيتسك · فهو وان يكن يسمى « سجناً » لكن ليس بالحقيقة سوى بيت اعتيادي محاط بجدار عالٍ ومفتوح الابواب في اكثر الاوقات بحيث يقدر من شاء ان يخرج منه بدون ان يشعر به احد · وهو ليس نظيفاً كسجون الرجال · وقد استغربت كيف لا يخافون ان تهرب السجينات منه ما دامت ابوابه مفتوحة فبناء عليه سأَلت رئيسته عن ذلك فاجابت « انه لا يخطر ابداً ببال السجينات ان يهربن · وفي طول مدة وجودي هنا كرئيسة لم يحدث غير حادث من هذا القبيل · وذلك انه عند ما قرأنا ذات يوم اسماء السجينات في المساء كما هي العادة وجدنا احداهن غائبة فاستغربنا ذلك ولكنها ما لبثت ان عادت ثانيةً بعد خمسة ايام · فسألناها عن سبب هربها فاجابت « بما انه غير مسموح للرجال ان يزوروا السجن رأيت نفسي مضطرة ان اذهب لارى حبيبي في مكان قريب » فسامحناها لان عذرها مقنع ··

تاريخ حياة المسيح واعماله

كما يكتبه مؤرخو العرب

(نقلاً عن التاريخ الكامل للمؤرخ المشهور ابي الحسن ابن الاثير الجزري)

(منقول عن كتاب تاريخ المسيح بقلم رنان تحت الطبع)

ليس يخلو من فائدة ان نردف تاريخ المسيح كما كتبه رنان بتاريخ المسيح كما يكتبه مؤرخو العرب نقلاً عن الكتب والاخبار الدينية . فاخترنا من كلامهم بهذا الصدد كلام المؤرخ ابن الاثير المشهور . وهذا نصه

(ذكر ولادة المسيح الى آخر امره)

« كانت ولادة المسيح ايام ملوك الطوائف . قالت المجوس كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل وبعد احدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين . وقالت النصارى ان ولادته كانت لمضي ثلاثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الاسكندر على ارض بابل . وزعموا ان مولد يحيى (١) كان قبل مولد المسيح بستة اشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشرين . وان عيسى عاش الى ان رُفع (الى السماء) اثنتين وثلاثين سنة واياماً وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها احدى وخمسين سنة . وان يحيي قُتل قبل ان يُرفع المسيح . واتت المسيح النبوءة والرسالة وعمره ثلاثون سنة . وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة وكانت هي وابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة . وكان يوسف حكيماً نجاراً يعمل بيديه ويتصدّق بذلك . وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمها اخذ كل واحد منهما قلّته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان الى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيا فيه جبرائيل نفد ماؤها فقالت ليوسف ليذهب معها الى الماء . فقال عندي من الماء ما يكفيني الى غدٍ . فاخذت قلّتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت جبرائيل (الملاك) قد مثله الله لها بشراً سويّاً . فقال لها يامريم ان الله قد بعثني اليك لاهب لك غلاماً زكيّاً . قالت اني اعوذ بالرحمن منك

«١» يوحنا المعمدان

ان كنت تقياً . اي مطيعاً لله . وقيل هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلاً . قال انما انا رسول ربكِ لاهب لك غلاماً زكياً قالت انىَّ يكون لي غلام ولم يمسسني بشر قال كذلك قال ربك (الى قوله امرًا مقضياً) فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ في جيب درعها ثم انصرف عنها . وملأَت قلّتها وعادت . وكان لا يُعلم في اهل زمانها اعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار . فلما حملت واتتها خالتها امرأَة ذكريا ليلةً تزورها وفتحت لها الباب التزمتها فقالت لها امرأَة ذكريا اني حبلى فقالت لها مريم وانا ايضاً حبلى قالت امرأَة ذكريا فاني وجدتُ ما في بطني يسجد لما في بطنك . وولدت امرأَة زكريا يحيي (يوحنا) وقد اختلف في مدة حملها فقيل تسعة اشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية اشهر فكان ذلك آية اخرى لانه لم يعش مولود لثمانية اشهر غيره . وقيل ستة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو اشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى « فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً » عقبه بالفاء . فلما احست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فاتت اقصاه ففاجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس : يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً . يعني نُسي ذكري واثري فلا يرى لي اثر ولا عين . قالت مريم كنت اذا خلوتُ حدثني عيسى وحدثته . فاذا كان عندنا انسان سمعتُ تسبيحه في بطني . فناداها جبرائيل (الملاك) من تحتها اي من اسفل الجبل : لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً وهو النهر الصغير اجراه تحتها . فمن قرأَ مِن تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرائيل ومن فتحها قال انه عيسى انطقه الله . وهزي اليك بجزع النخلة . كان جزعاً مقطوعاً . فهزته فاذا هو نخلة . وقيل كان مقطوعاً فلما اجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضرّ وارطب . فقيل لها وهزي اليك بجزع النخلة فهزته فتساقط الرطب . فقال لها كلي واشربي وقرّي عيناً فاما ترين من البشر احدًا فقولي اني نذرتُ للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم انسياً . وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي . فلما ولدته ذهب ابليس فاخبر بني اسرائيل ان مريم قد ولدت . فاقبلوا يشتدون بدعوتها فاتت به قومها تحمله . وقيل ان يوسف النجار تركها في مغارة اربعين يوماً ثم جاء بها الى اهلها وكانت من نسل هرون اخي موسى كذا قيل . قلتُ انها ليست من نسل هرون انما هي من سبط يهوذا ابن يعقوب من نسل سليمان بن داود . وانما كانوا يُدعون بالصالحين . وهرون من ولد لاوي بن يعقوب . قالت لهم ما امرها الله به بعد ذلك . وقيل انه لما دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك فانهم ان ظفروا بكِ قتلوك وولدكِ . فاحتملها يوسف النجار وسار بها الى ارض مصر فلما وصلا الى تخوم

مصر ادركها المخاض . فلما وضعت وهي محزونة قيل لها لا تحزني (الآية الى انسياً) فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء . واصبحت الاصنام منكوسة على رؤسها وفزعت الشياطين فجاءوا الى ابليس فلما رأى جماعتهم سألهم فاخبروه فقال قد حدث في الارض حادث . فطار عند ذلك وغاب عنهم فمرَّ بالمكان الذي ولد فيه عيسى فرأى الملائكة محدقين به . فعلم ان الحدث فيه . ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى فعاد الى اصحابه واعلمهم بذلك وقال لهم ما ولدت امرأة الا وانا حاضر لاضل به اكثر ممن يهتدي . واحتملته مريم الى ارض مصر فمكث اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبيها . وقيل ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل الربوة دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك . فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني اسرائيل وكان من الروم واسمه هيرودس . فان اليهود اغروه بقتله فساروا الى مصر واقاموا بها اثنتي عشرة سنة الى ان مات ذلك الملك وعادوا الى الشام . وقيل ان هيرودس لم يرد قتله ولم يسمع به الا بعد رفعه وانما خافوا اليهود عليه والله اعلم

ذكر معجزات المسيح

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوي اليها الفقراء والمساكين فسُرق له مال فلم يتهم المساكين فحزنت مريم فلما رأى عيسى حزن امه قال اتريدين ان اداُّه على ماله قالت نعم قال انه اخذه الاعمى والمقعد . اشتركا فيه : حَمل الاعمى المقعد فاخذه . فقيل للاعمى ليحمل المقعد فاظهر العجز فقال له المسيح كيف قويتَ على حمله البارحة لما اخذتما المال . فاعترفا واعاداه . ونزل بالدهقان اضياف ولم يكن عنده شراب فاهتمَّ لذلك فلما رآه عيسى دخل بيتاً للدهقان فيه صفان من جرار فامرَّ عيسى بيده على افواهها وهو يمشي فامتلأت شراباً وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة . وكان في الكتاب يحدّث الصبيان بما يصنع اهلوهم وبما كانوا يأكلون . قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فضربه على رجله فقتله فالقاه بين رجلي المسيح متلطخاً بالدم . فانطلقوا بهِ (اي المسيح) الى الحاكم في ذلك البلد فقالوا قتل صبياً . فسأله الحاكم فقال ما قتلته فارادوا ان يبطشوا به فقال ائتوني بالصبي حتى اسأله من قتله . فتعجبوا من قوله واحضروا عنده القتيل . فدعا الله فاحياه فقال من قتلك فقال قتلني فلان يعني الذي قتله . فقال بنو اسرائيل للقتيل مَن هذا . قال هذا عيسى ابن مريم ثم مات الغلام من ساعته . وقال عطاء : سلمت مريم عيسى الى صباغ يتعلم عنده فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة فقال

للمسيح هذه ثياب مختلفة الالوان وقد جعلتُ في كل ثوب منها خيطاً على اللون الذي يُصبغ به فاصبغها حتى اعود من حاجتي هذه . فاخذها المسيح والقاها في جب واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب فقال صبغتها فقال اين هي قال في هذا الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدتها على اصحابها وتغيظ عليه . فقال له المسيح لا تعجل وانظر اليها . وقام واخرجها كل ثوب منها على اللون الذي اراد صاحبه فتعجب الصباغ منه وعلم ان ذلك من الله تعالى

ولما عاد عيسى وامه الى الشام نزلوا بقرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى فاقام الى ان بلغ ثلاثين سنة فاوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله تعالى ويداوي المرضى والزمنى والاكمه والابرص وغيرهم من المرضى ففعل ما امر به واحبه الناس وكثر اتباعه وعلا ذكره . وحضر يوماً طعام بعض الملوك وكان دعا الناس اليه فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص فقال الملك من انت قال انا عيسى بن مريم فنزل الملك عن ملكه واتبعه في نفر من اصحابه فكانوا الحواريين (١) وقيل ان الحواريين هم الصباغ الذي تقدم ذكره واصحاب له وقيل كانوا صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين والله اعلم . وكانت عدتهم اثنى عشر رجلاً وكانوا اذا جاعوا او عطشوا قالوا يا روح الله قد جعنا وعطشنا . فيضرب يده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفين وما يشربون . فقالوا من افضلُ منا . اذا شئنا اطعمتنا وسقيتنا . فقال افضلُ منكم من يأكل من كسب يده . فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة . ولما ارسله الله اظهر من المعجزات انه صوّر من الطين صورة طائر ثم نفخ فيه فيصير طائرًا باذن الله . قيل هو الخفاش . وكان غالبًا على زمانه الطب فاتاهم بما ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى تعجيزًا لهم . فممن احياه عازر وكان صديقاً لعيسى فمرض فارسلت اخته الى عيسى ان عازر يموت فسار اليه وبينهما ثلاثة ايام فوصل اليه وقد مات منذ ثلاثة ايام فاتى قبره فدعا لهُ فعاش وبقي حتى ولد له . واحيا امرأة وعاشت وولد لها . واحيا سام بن نوح . كان يوماً مع الحواريين يذكر نوحاً والغرق والسفينة فقالوا لو بعثت لنا من شهد ذلك فاتى تلاً وقال هذا قبر سام ابن نوح ثم دعا الله فعاش وقال : قد قامت القيامة ؟ فقال المسيح لا ولكن دعوتُ الله فاحياك . فسألوه فاخبرهم . ثم دعا ميتاً واحيا عزير النبي . قال له بنو اسرائيل احيِ لنا عزيرًا والا احرقناك فدعا الله فعاش . واحيا يحيى بن زكريا واحيا غير من ذكرناه وكان يمشي على الماء

«١» رسل المسيح وتلامذته

ذكر نزول المائدة

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة . وسبب ذلك ان الحواريين قالوا له ياعيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء . فدعا عيسى فقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا . فانزل الله المائدة عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفد . فقال لهم انها مقيمة ما لم تدخروا منها . فما مضي يومهم حتى ادخروا . وقيل اقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم . وقيل كان عليها من ثمار الجنة وقيل كانت تمد بكل طعام الا اللحم . وقيل كانت سمكة فيها طعم كل شيء . فلما اكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد انك رسول الله . ثم تفرقوا فتحدثوا بذلك فكذب به من لم يشهده وقالوا سحر اعينكم . فافتتن بعضهم وكفر فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبي . فبقوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا . وقيل كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى سقطت بين ايديهم . فبكى عيسى وقال اللهمَّ اجعلني من الشاكرين . اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة . واليهود ينظرون الى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحاً اطيب من ريحها . فقال شمعون (سمعان) يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الجنة . فقال المسيح لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة انما هو شيء خلقه الله بقدرته . فقال لهم كلوا مما سألتم . فقالوا له كل انت يا روح الله فقال معاذ الله ان آكل منها . فلم يأكل ولم يأكلوا منها . فدعا المرضى والزمنى والفقراء فاكلوا منها وهم الف وثلثمائة فشبعوا وهي بحالها لم تنقص . فصح المرضى والزمنى واستغنى الفقراء . ثم صعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت . وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها . وقيل انها نزلت اربعين يوماً كانت تنزل يوماً وتنقطع يوماً . وامر الله عيسى ان يدعو اليها الفقراء دون الاغنياء ففعل ذلك فاشتد على الاغنياء وجحدوا نزولها وشكوا في ذلك وشككوا غيرهم فيها . فاوحى الله الى عيسى اني شرطت ان اعذب المكذبين عذاباً لا اعذب به احداً من العالمين فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً فاصبحوا خنازير . فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسي وبكوا وبكى عيسى على الممسوخين . فلما ابصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم باسمائهم ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا

ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى امه وعوده الى السماء

قيل ان عيسى استقبله ناس من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة .

فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير . فلما رأى ذلك رأس بني اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله فاجتمعوا عليه فسألوه فقال : يا معشر اليهود ان الله يبغضكم . فغضبوا من مقالته وساروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل فادخله في خوخة الى بيت فيها روزنة في سقفها فرفعه الى السماء من تلك الروزنة . فامر رأس اليهود رجلاً من اصحابه اسمه نطليانوس ان يدخل اليه فيقتله فدخل فلم يرَ احداً والقى الله عليه شبه المسيح فخرج اليهم فظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه . وقيل ان عيسى قال لاصحابه ايكم يحب ان يُلقى عليه شبهي وهو مقتول . فقال رجل منهم انا يا روح الله . فالقى عليه شبهه فقتل وصُلب . وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب رجل اسرائيلي اسمه يوشع ايضاً . وقيل لما اعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا الحواريين فصنع لهم طعاماً فقال : احضروني الليلة فان لي اليكم حاجة . فلما اجتمعوا عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا اخذ يغسل ايديهم بيده ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك وكرهوه فقال من يرد عليَّ الليلة شيئاً مما اصنع فليس مني . فاقروه حتى فرغ من ذلك ثم قال اما ما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدي فليكن بي اسوة فلا يتعاظم بعضكم على بعض . واما حاجتي التي استعينكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر اجلي . فلما نصبوا انفسهم للدعاء اخذهم النوم حتى ما يستطيعون الدعاء فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ما تصبرون لي ليلة . قالوا والله ما ندري مالنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقدر عليه الليلة وكلما نريد الدعاء حيل بيننا و بينه . فقال يُذهب بالراعي و يفترق الغنم . وجعل ينعي نفسه ثم قال : ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني احدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني . فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين وقالوا هذا صاحبه . واختلف العلماء في موته قبل رفعه الى السماء فقيل رُفع ولم يمت وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم احياه ورفعه . ولما رُفع الى السماء قال الله له انزل . فلما قالوا لشمعون عن المسيح جحد وقال ما انا صاحبه فتركوه وفعلوا ذلك ثلاثاً . فلما سمع صياح الديك بكى واحزنه ذلك . واتى احد الحواريين الى اليهود فدلهم على المسيح واعطوه ثلاثين درهماً فاتى معهم الى البيت الذي فيه المسيح فدخله فرفع الله المسيح والقى شبهه على الذي دلهم عليه فاخذوه واوثقوه وقادوه وهم يقولون له انت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا فهلا تنجي نفسك . وهو يقول انا الذي دللتكم عليه فلم يصغوا الى قوله ووصلوا به الى الخشبة وصلبوه عليها . وقيل ان اليهود لما دلهم عليه الحواري اتبعوه واخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه . فاظلمت الارض

وارسل الله ملائكة فحالوا بينهم و بينه . والقي شبه المسيح على الذي دلهم عليه فاخذوه ليصلبوه. فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه فقتلوه وصلبوه عليها . و رفع الله المسيح اليه بعد ان توفاه ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم احياه ورفعه . ثم قال له انزل الى مريم فانه لم يبكِ عليك احد بكاءها ولم يحزن حزنها . فنزل عليها بعد سبعة ايام فاشتعل الجبل حين هبط نورًا وهي عند المصلوب تبكي ومعها امرأة كان ابرأها من الجنون . فقال ما شانكما تبكيان قالتا عليك قال اني رفعني الله اليه ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم وامرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض رسلاً عن الله وامرهم ان يبلغوا عنه ما امره الله به . ثم رفعه الله اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم فصار انسياً ملكياً سماوياً ارضياً . فتفرق الحواريون حيث امرهم فتلك الليلة التي اهبطه الله فيها هي التي تدخن فيها النصارى . وتعدّى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس وكانوا تحت يده وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلاً كان في بني اسرائيل وكان يفعل الآيات من احياء الموتى وخلق الطير من الطين والاخبار عن الغيوب فعدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم انه رسول الله فقال الملك ويحكم ما منعكم ان تذكروا هذا من امره فوالله لو علمتُ ما خليت بينهم و بينه . ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايدي اليهود وسألهم عن دين عيسى فاخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذي شُبه لهم فغيّبه واخذ الخشبة التي صُلب عليها فاكرمها وصانها وعدا على بني اسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة . فمن هناك كان اصل النصرانية في الروم . وقيل كان هذا الملك هيردوس ينوب عن ملك الروم الاعظم الملقب قيصر واسمه طباريوس وكان هذا ايضاً يسمى ملكاً . وكان ملك طباريوس ثلاثاً وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة واياماً » انتهى كلام ابن الاثير بحذف يسير

السماء والأرض والانسان

(جدال العلماء)

(هل الارض في مركز الخليقة ؟)

ردّ العلامة كاميل فلامريون على العلامة ارثر ولس

نشرنا في الجزء السابق تحت هذا العنوان تفصيل راءي جديد للعلامة ارثر ولس رفيق العلامة درون ومحصّله ان كرتنا الارضية كائنة في مركز الكون وانها مأهولة بالسكان دون غيرها من الكواكب والسيارات . ولقد كان لهذا القول دهشة في العالم الشرقي كما كان له دهشة في العالم الغربي . ومما قرأناه في البريد الاخير مقالة للعلامة كاميل فلامريون المشهور يردّ بها على المستر ولس . فرأينا من الواجب تلخيص الردّ بعد تلخيصنا الراءي

قال المسيو فلامريون : ان الانسان يتساءل كيف ان عالمًا مهمًا مثل ارثر ولس يرى ان الشمس كائنة في مركز الكون ولا وظيفة لها غير انارة الارض وان هذه الارض هي الجرم الوحيد المأهول في الفضاء . نعم سمعنا كثيرًا من هذه الاقوال في بعض المواعظ والخطب الدينية ولكنا لم نسمع مثلها قبل الآن من عالم موضوع في الدرجة الاولى بين العلماء

ثم ان المسيو فلامريون يقول : على ان ذلك امر محزن لان هذا الحجر الذي القاه صاحب الراءي في بحيرة العلم سيحدث امواجًا تمتدّ الى بعيد و يبقى منها اثر في الاذهان . ذلك ان الاوهام والاغلاط خصوصًا ما كان منها منطبقًا على اهوائنا وموافقًا كبريائنا لا تتلاشى بسرعة . وكم من القواعد التي وضعها ارسطو قديمًا تعرقل الآن عقولنا في مباحثنا الفلسفية . ولذلك نعتبر ان راءي المستر ولس لا يجب ان يعتد غيمة مرّت في سماء العلم بل ظلامًا تكاثف فيها

ثم شرع المسيو فلامريون في الردّ على هذا الراءي فقال ما خلاصته

محصل راءي المستر ولس ثلاثة (الاول) ان عدد النجوم في السماء محدود لا غير متناهٍ كما قيل (الثاني) ان الكون كله كائن على جوانب المجرة وهذه المجرّة مؤلفة بترتيب دقيق (الثالث) ان الشمس واقعة في مركز الكون اي في مركز المجرّة

اما الامر الاول فيردّ عليه بان بين كلمة « العدد » وكلمة « غير متناهٍ » تناقضًا لا يزول . لان كل عدد لا يمكن ان يكون غير متناهٍ . اذ الغير المتناهي ما استحال الزيادة عليه .

والعدد قابل للزيادة دائماً ٠ فلا مانع من القول بان عدد النجوم في السماء غير متناهٍ ـ ولكن لا ينبغي الخلط بين النجوم والفضاء ٠ فانه اذا كان عدد النجوم متناهياً فالفضاء (الخلاء) لا يمكن الا ان يكون غير متناهٍ اذ ليس فيه فوق ولا تحت ولا شمال ولا يمين كما انه في ابدية الزمن لا بداية ولا نهاية ٠ على ان بعض الفلاسفة يعرّفون الفضاء بانه المسافة التي تفصل بين جسمين ولذلك لا يتصوّرون فضاء بلا اجرام ٠ واللاهوتيون ينكرون لا نهاية الفضاء خوفاً من ان يطلقوا على الفضاء صفة من صفات الله (اللانهاية) غير انني اتجاسر واقول ان هذه الاقوال سفسطائية اذ هب ان الاجرام لم توجد ولا وجد هذا الكون فان الفضاء يكون موجوداً ٠ اي يوجد فراغ يحتمل وجود الاجرام فيه

ومن براهين المستر ولس على ان عدد النجوم غير متناهٍ انه لو كان كذلك لوجب ان تكون النجوم منتشرة في كل جوانب الفضاء وبما ان كل نجم من تلك النجوم شمس منيرة فانه يلزم ان تلتقي انوارها الساطعة وتؤلف افقاً منيراً كنور الشمس ٠ ولكن هنا اربعة اعتراضات على هذا القول (الاول) ما ادرانا ان النور الواصل الينا من الفضاء لا تعرض له عوارض تضعف خواصه ولماذا لا يؤثر الاثير على اشعته بان يمتص منها ويضعف نورها (الثاني) وجود شموس مظلمة (اي منطفئة خامدة) في الفضاء كما يوجد فيه شموس منيرة فلماذا يعتبر المستر ولس كل تلك النجوم شموساً منيرة ٠ وما المانع من ان تكون تلك الشموس الخامدة واقعة بين الشموس المنيرة وحائلة دون التقاء انوارها وانتشارها (الثالث) ان الفضاء مملوء بالسدم والغازات وفن الفوتوغراف يكتشفها في كل جانب تقريباً ٠ وهذه السدم والغازات قد تكون منيرة وقد تكون مظلمة فما المانع من ان يكون المظلم منها ذا تاثير على النور في السماء (الرابع) وجود الغبار بكثرة في الفضاء منتشراً عن عوالم السماء وامكان تاثيره على النور

ثم ردّ المؤلف على القول الثاني والثالث (المجرّة وترتيبها ووجود الشمس في مركزها) فاقام الدليل على ان المجرّة ليست نظاماً مخصوصاً مرتباً بل هي مجموعة سدم واجرام صغيرة وقد عدوا منها بالتلسكوب نحو عشرة الآف ٠ وهي عبارة عن دائرة حولنا وحول الشمس ولكن الشمس ليست في مركزها تماماً ولا هي اكبر الاجرام الواقعة ضمن دائرتها لان الفا دي سانتور التي هي في جملة هذه الاجرام جرمها مضاعف جرم الشمس ٠ ومع ذلك فهب ان شمسنا في مركز المجرة تماماً فانها لا تبقى دائماً في هذا المركز ٠ ذلك انها سائرة بسرعة نحو مجموع هرقل وستجتاز المسافة من هنا الى الفا دي سانتور بخمسة وستين الف سنة ٠ وهي

مدة قصيرة في نظر تاريخ الخليقة كما ان الجيولوجيين يعتبرون ان عشرين مليون سنة مدة ليست طويلة في تاريخ الطبيعة · وهذه المدة (٦٥ الف سنة) كافية لاخراجنا واخراج كل شمسنا من دائرة المجرّة

ثم انتقل المؤلف الى الهجوم بعد الدفاع فقال : يؤخذ من تقدير اللورد كلفن الاخير ان عدد الشموس في عالمنا السماوي ليس باكثر من مليار شمس بكثير · واذا افترضنا ان معدل جرم كل واحدة من هذه الشموس مساوٍ لجرم شمسنا لزم ان يكون معدل سرعة الاجرام في دورانها الناشىء عن تجاذبها وتدافعها من ٢٠ الى ١٠٠ كيلومتر في الثانية · ولكن لو كان عدد تلك الشموس عشرة مليارات مثلاً للزم ان تكون سرعة الاجرام المتعلقة بها اقوى واشد كثيرًا من السرعة المذكورة آنفًا · الا انه هب اننا افترضنا ان عدد الشموس في الفضاء مليار فما الفائدة من هذا الافتراض · هل يمنع ذلك من وجود عالم ثانٍ وراء هذا العالم عدد شموسه ايضًا مليار وعالم ثالث وراءه عدد شموسه ايضًا مليار · فان المجرّة التي حولنا ليست سوى نقطة في فضاء الابدية

ومما يقوّي لدينا هذا الظن اكتشافنا نجومًا ليست تابعة لعالمنا هذا · منها النجم الذي ذكره نيوكمب والمعروف بنجم كرمبردج وكان اكتشافه في سنة ١٨٣٠ · فان سرعة هذا النجم في دورانه بلغت ٣٠٠ الف متر في الثانية الواحدة · وهو يخترق عالمنا هذا قادمًا من خارجه ككرة مقذوفة بقوة هائلة · فالارجح انه تابع لعالم آخر سماوي غير عالمنا وانما يمر بنا مرًا · و يقوي هذا الظن ان قوة جاذبية المليار من النجوم الذي تقدم ذكره لا يمكن ان تسبب سرعة هائلة كهذه السرعة لان معدل السرعة التي تنجم عن ذلك المليار انما هو من ٢٠ الى ١٠٠ كيلومتر في الثانية كما تقدم

ثم ختم المسيو فلامريون ردّه بخاتمة جميلة اظهر فيها عجبه من ان عالمًا مثل المستر ولس يعتقد بالنشوء والتحوّل ـ اي يطلب مساعدة الزمن لحدوث الفعل ـ ثم يعتقد مع ذلك بان لزمننا هذا وارضنا هذه مزية خصوصية بدلاً من ان يعتقد بان الارض هي بنت اليوم كما ان القمر ابن امس والمشتري ابن الغد · يعني المستر فلامريون بذلك ان الارض غير ممتازة بشيء عن باقي الاجرام وانما وجدت الحياة فيها اليوم لملائمة احوالها لها كما كانت موجودة من قبل في القمر ثم انقرضت منهُ وكما ستوجد في السيارة (المشتري) يوم استعداد هذه السيارة لها · نقول وهذه عقدة العقد التي يصعب تصديقها كما يصعب قبولها يوم ثبوتها

أقتراحات الجامعة

هل يصير التعليم مجانياً الزامياً لكل ابناء الامة في مصر في المستقبل ؟ وكم هي المدة اللازمة لذلك ؟ وهل يفيد ذلك البلاد الفائدة المطلوبة اذا كان هذا التعليم على الطريقة الحاضرة ؟ واذا كان التعليم محتاجاً الى اصلاح فما هي اهمّ وجوه هذا الاصلاح ؟

اقترحنا في الجزء السابق على الادباء الاقتراحات التي سطّرناها فوق جرياً على القاعدة التي وضعتها المجلة وهي ان تعين المواضيع التي تقبل الرسائل والفصول فيها . فوردتنا عدة اجوبة . غير ان في هذه الاجوبة ما لو اردنا نشره كله لاستغرق عدة صفحات من الجامعة . ولذلك نكتفي بنشر شيء من كل جواب لنتمكن من نشر آراء جميع المراسلين والاّ اضطررنا الى الاقتصار على رسالة واحدة

واولى هذه الرسائل مقالة مسهبة من جناب حليم افندي لوقا في اسيوط وقد ختمها حضرته بما يلي :

« اهم الطرق الواجبة لاصلاح التعليم

(اولاً) ادخال المجانية الالزامية على قدر الامكان ولو في المدارس الابتدائية وان شئت فالكتاتيب على الاقل (ثانياً) انشاء مدارس تجهيزيه في كل بلدة وكل قرية يتعلم فيها الطلبة القراءة والكتابة والمبادىء الطبيعية (وهي التي نرى ضرورة جعلها مجانية) (ثالثاً) طلبة المدارس التجهيزية اذا شاءوا دخلوا المدارس الابتدائية التي يجب ان تُنشأ في عاصمة كل مديرية وكل مركز ويجب ان يكون العلم فيها مقروناً بالعمل وتُشغل اوقات الفراغ بالرياضة الجسدية كالسباحة وركوب الخيل والجمنستيك وغير ذلك . وفي كل سنة من سني الدراسة يتعلم التلامذة صناعة يدوية او فنية عن يد استاذ ماهر . وينبغي الاعتناء الشديد بالتربية الادبية اي حفظ الفضائل والآداب ومراقبة سلوك التلامذة اشد مراقبة وتعويد الشاب الاعتماد على نفسه في كل عمل يأتيه ومعاملته معاملة الرجال (رابعاً) تنشأ ثلاث مدارس كلية في مصر والاسكندرية واسيوط على مثال مدارس اوروبا (خامساً) تنشأ ما عدا ذلك المدارس الصناعية والزراعية والتجارية ويكون التعليم فيها علمياً عملياً وعددها بقدر حاجة البلاد »

(اسيوط) حليم لوقا

وجاء في رسالة لجناب سليمان افندي كرم في الشيخ فضل

« من شأن الشعوب مهما كانت ضعيفة ان تميل للارتقاء . وهذا لا يتم الا بالعلم والغنى . ومصر غنية بشهرتها عن بيان ثروتها فلا ينقصها اذاً الا التثقيف العام . وهذا منوط بالزامية التعليم والذي يحملنا على الحكم بالحصول عليه فيما بعد السنّة العظمى السائدة في العالم وهي الزحف الى امام . وغير بعيد ان حكام مصر بعد ان درسوا سر تقدم الممالك الغربية وعرفوا اسباب انحطاط الشرق لا يرتضون ان يتركوا الامة في دياجي الجهل بل تأخذهم غيرة التقدم الحقيقي فيدخلوا في القانون المصري الزامية التعليم

اما مدارسنا الآن فتعليمها سطحي . وعندي انه قد حان لنا الوقت الذي يجب فيه الخروج من هذه الحالة . وذلك يتم بان تنقش على جدران مدارسنا وكتاتيبنا هذه الكلمات التي تغير الامة وهي : قرن العلم بالعمل

(الشيخ فضل) سليمان كرم

وجاء في رسالة بلا توقيع

« لم يسلم التعليم الالزامي المجاني من الاعتراض والنقد شان جميع المسائل الادبية . ففيه مذهبان تختلفان كل الاختلاف

فالمذهب الاول مذهب اللورد سبنسر وغيره من الفلاسفة الذين يريدون توجيه عقول البشر في الارض الى الاشياء العملية النافعة . فان هؤلاء القادة يرون ان عامة الشعب اذا تلقوا الدروس الابتدائية والثانوية خرجوا من المدارس وهم كالغراب الذي رام يمشي مشية الحجل . ذلك ان نفوسهم تنفر من حالتهم الاجتماعية وتتطاول الى الارتقاء الى طبقة اعلى من طبقة آبائهم واجدادهم . وبما انهم لا يستطيعون الوصول الى هذه الطبقة يصبحون بين الطبقتين اي لا يكونون من طبقة آبائهم لانهم نفروا منها ولا من الطبقة التي فوقهم لانهم لا يستطيعون الوصول اليها . ولذلك يسميهم الفلاسفة « فاقدي الطبقة » وهؤلاء الفاقدو الطبقة يكونون حملاً ثقيلاً على انفسهم وعلى اهلهم وعلى امتهم لانهم لا يستطيعون ان ينفعوا ولا ان ينتفعوا . على حين انهم لو تلقوا بدلاً من الدروس الادبية التي تلقوها شيئاً من المعارف الابتدائية وانصرفوا الى صناعة آبائهم واجدادهم لعاشوا مثلهم مستريحين مريحين

ويظهر ان جناب اللورد كرومر قد اقنعه ما قاله الفيلسوف هربرت سبنسر في كتاب له صدر منذ عامين وخلاصته استياء الفيلسوف الجليل من مبالغة الناس في توقعهم الخير

من التعليم وافراطهم في تعميمه . ولذلك ارتأى اللورد كرومر في تقريره الاخير رأياً موافقاً كل الموافقة لرأي الذين يدعون الى تقليل عدد « فاقدي الطبقة » . واذا بقي اللورد كرومر على هذا الرأي ولم تصرفه نظارة المعارف عنه في المستقبل فمن المحتمل ان التعليم الالزامي المجاني لا يتمّ مع الاحتلال في القطر المصري

على ان انصار التعليم الالزامي يردّون على ذلك بقولهم

لانجهل ان التعليم الالزامي لكل ابناء الامة قد يُفضي الى تكثير عدد « فاقدي الطبقة » كما ذكرتم . ولكن هذا الضرر لا ينشأ من نفس التعليم الالزامي بل من فساد طريقته . فان المدارس الادبية التي تقتصر على تدريس الصرف والنحو والشعر والبيان وشيء من مبادئ العلوم لا يمكن ان يخرج منها التلامذة الا وهم « فاقدو الطبقة » وليس العجب في خروجهم منها كذلك بل العجب في ان لا يخرجوا منها كذلك . وانما الكلام هنا على المدارس المفيدة اي على مدارس غير المدارس الادبية المقصود بها اعطاء التلميذ شهادة الدروس الثانوية . المقصود بالتعليم الالزامي المجاني التعليم المنطبق على حاجات الامة . فاذا كانت الامة زراعية كان التعليم مقروناً بالمعارف الزراعية واذا كانت صناعية كان مقروناً بالمعارف الصناعية وان لم تكن هذا ولا ذاك بل وجب ايجادها وتكوينها فانه يُنشأ لها مدارس لايجادها وتكوينها باخلاص وحسن نية

نعم من المحتمل ان اشعة نور العلم اذا وقعت على ادمغة بعض الاولاد اضرتهم بدلاً من ان تنفعهم لان تلك الادمغة « محدودة » اي قاصرة لم تخلق الا لعمل محدود . وان ذلك يجرّ عليها وبالاً في معترك الحياة لانه يريها سوء الحال التي هي فيه دون ان يعطيها قوة للخروج منها ـ ولكن اي شأن لهذا الامر بازاء اكتشاف تلك الاشعة في طبقات الشعب والعامة القرائح العظمى والعقول الكبرى والنوابغ الذين وهبتهم السماء مواهب ليخدموا بها البشر في الارض

ان اكثر اعاظم الرجال الذين نبغوا في القرن التاسع عشر (اي بعد الثورة الفرنسوية) كانوا عصاميين وخروجهم كان من احشاء الشعب والعامة . هذا محمد علي باشا وهذا علي باشا مبارك وغيرهما من نوابغ مصر . من اية طبقة خرجوا ؟ أليس من طبقة الشعب . فلتكن اذاً مباركة الف مرة تلك الاشعة الجليلة التي تقع على ادمغة عامة الشعب منذ الصغر فتُظهر ما فيها من المواهب والاستعداد العظيم بدلاً من تركها تصداء وتفنى بالاهمال والغباوة كالذهب الذى يلحقه الصداء فيستر معدنه الكريم

وما عدا فائدة التعليم الالزامي في اظهار النوابغ في الامة فهناك فائدة اخرى · وهي ان قوة الامة متوقفة على قوة افرادها · وافرادها لا يكونون اقوياء الاَّ بمعرفتهم حقوقهم وواجباتهم في الامة · وقد صارت الحياة في هذا الزمان عبارة عن معترك شديد بين الناس · فاذا لم يتسلَّح الفرد بسلاح العلم والاقدام والجراءة التي تقوي قلبه وتدرّبه في طريقه فانه يسقط ويُداس · ومن اين للامة هذه الفضائل من غير تربية علمية عمومية

فحسناً تصنع الحكومة المصرية متى وجدت العشرة ملايين جنيه التي تريد انفاقها على ازالة السدود من اعالي النيل ان تأخذها وتنفقها على وضع اساس التعليم الالزامي المجاني في مصر فان العناية بهذا الامر ليس باقل اهمية من ذاك »

﴿ اقتراحات الجزء القادم ﴾ اما اقتراحات الجزء القادم فهي « اصحيحٌ ما ورد في « مقالة السودان ونغمته الجديدة » في هذا الجزء من عواطف السودان نحو مصر · وهل سمعت شيئاً عن ذلك · وما سببه اذا كان صحيحاً · وما هي الطرق للتوفيق بين الفريقين وكيف يكونان في المستقبل · وهل يبقى السودان مستعمرة لمصر ام يُصدَّق ما يُقال من انه سيسبقها في حلبة العمران » — ولا ريب ان قراءنا الافاضل في اقطار السودان اقرب القراء الى هذا الموضوع المهم · غير اننا نرجو من كل من عنده معلومات بهذا الشأن ان لا يبخل بها على قراء الجامعة

السودان ونغمته الجديدة

« وباء الجنسيات والمذهبيات »

لمناسبة صدور جريدة السودان لصاحبها جناب محمود افندي القباني

السودان بلاد واسعة الاطراف واهله داخلون في الحضارة شيئاً فشيئاً وكلهم يتكلمون اللغة العربية فلا ريب في ان مستقبل الصحافة فيها سيكون عظيماً متى كثر قراؤها · وقد بدأت الصحافة السودانية منذ الآن فان ادارة جريدة المقطم نالت امتيازاً من الحكومة السودانية بفتح مطبعة وجريدة في ام درمان · وامامنا الآن جريدة سياسية ادبية تجارية اسبوعية عنوانها « السودان » لمديرها ومحررها جناب محمود افندي القباني قال في فاتحتها ما نصه : « انني كنتُ اصدرت جريدة باسم السودان منذ بضع سنوات ثم بدا لي

بعد فتح ام درمان تعطيلها الى اجل غير مسمى حتى اتمكن من اعادة اصدارها في نفس وطني الخرطوم حينما تتقاص من بلاده الاحكام العرفية وتباح فيه حرية المطبوعات · — ولما كنتُ من اهل مدينة الخرطوم الذين حوصروا فيها مع الطيب الذكر الجنرال غوردون باشا الذي يمتزج تاريخ اعماله وحياته بتاريخ السودان عموماً والخرطوم خصوصاً جعلت شعار جريدتي صورته الكريمة وبجانبها راية العدل والعمران الانكليزية وفي الجانب الايسر صورة اعرابي من بدو السودان الشرقي بزيه الشائع بين تلك القبائل الضاربة في تلك الفيافي وفي عنقه وذراعيه « التمائم » والتعاويذ · — ولما كانت الغاية تبرر الواسطة (كذا) فان غايتي خدمة قومي بما لا يخرج عن رغائب الاصلاح اذ نعدُّ انفسنا اليوم من رعايا جلالة الملك ادورد السابع (كذا فقط) يحكمنا موظف سامٍ من خيرة رجاله مستمدًا انوار الاصلاح والمدنية من ذلك الوزير الخطير والمصلح الكبير صاحب الفخامة اللورد كرومر الذي لا نحتاج الى تعريفه باكثر من هذا »

والحق يُقال ان هذه الجريدة مفيدة في موضوعها لانها تروي من اخبار السودان والشؤون المتعلقة به ما لا يوجد في غيرها · واذا كانت فاتحة جرائد السودان هكذا فلا ريب ان صحافته ستكون قوية جدًا · ولا عجب في ذلك فان مصر كانت مدرسة للصحافة وحملة الاقلام في القطرين

ولكن ثناءنا على حضرة صاحبها الفاضل لما حوته جريدته من الفوائد لا يمنعنا من الجهر بحقيقة تنجلي لكل من يقرأ سطرين في جريدته

فانه يظهر انه رأى من الفائدة ان يختار حزب التطرف على حزب الاعتدال في المسألة السودانية فقام يدعو ابناء وطنه الدعوة التى الفتها جميع الاحزاب المتطرفة في جميع البلاد لمراعاتها في ذلك مصالحها ومصالح احزابها قبل مصلحة امها · ولذلك قلما ترى بلدًا خلا من كتاب مجيدين يقطعون اوقاتهم و يتسلون بانتقاد الغرباء والاجانب حتى اخوانهم المشاركين لهم في كل شيء الا في شيء ويحرضون عليهم قراءهم تحريض الريح البحر ان يثب على المدن وان كان لهذا التحريض في بعض الاحيان سبب مفهوم قد يصح اتخاذه عذرًا ولا نظن ان بض رصيفاتنا الجرائد السورية التي تُطبع في اميركا قد سلمت من هذا الوباء فان بعضها قام يناصب فئة من الغرباء والاجانب في البلاد السورية ويحمل عليهم حملات منكرة بحجة المصلحة العمومية · فيا ايتها المصلحة العمومية كم من الصغائر يصنع الناس باسمك

ويكفي ان نروي لك بعض فقرات من رصيفتنا جريدة السودان لتعلم الخطة التي اتبعتها ·

فمن ذلك ما رأيتَ في فاتحة الجريدة . ومنه ما جاء في العدد الثالث في مقالة عنوانها العلائق بين مصر والسودان . فقد قال فيها ان المهدي لم يجذب السودانيين اليه ويجعلهم يلتفون حوله الا بقوله لهم في كل منشوراته « اخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بان الترك « اي المصريين » كفار وهم اشد الناس كفرًا لانهم ساعون في اطفاء نور الله ويأبى الله الا ان يتمّ نوره ولو كره الكافرون » قال الكاتب « هذه هي الجملة التي تلقاها اهل السودان كلهم بالقبول ورقصت لها افئدتهم المفعمة بالغيظ والحقد على ظالميهم المصريين » ـ ثم استطرد من هذا الى قوله « باستحالة التوفيق بينهما (اي بين المصريين والسودانيين) بغير وجود الانكليز . والعواقب وخيمة اذا اصر المصريون على تعنّتهم ولم يصغوا لنصائح رجال الاصلاح الذين يدأبون في التوفيق بين مصلحة مصر والسودان » ثم يقول « ان بعضهم يزعم ان اهل السودان يحبون المصريين وانهم لا يرضون حتى الآن ان يكونوا الا محكومين بسلطة مصر وهو قول لم يكن له نصيب من الصحة البتة . ومما يدل على فساده ان قائليه ابعد خلق الله عن السودانيين وليس لهم رابطة ما معهم . وفي اي نادٍ قال لهم السودانيون هذا القول . وفي اية جريدة عبّروا لهؤلاء الغرباء المتملقين بهذه الافكار التي لو رأى السودانيون ملصقها بهم لشربوا من دمه »

ثم يقول عن زيارة الجناب الخديوي المعظم للسودان « ان زيارة الوالي (يعني الجناب الخديوي) لم يكن لها فائدة سوى انه اخبر اهل السودان بصريح القول بحقوق انكلترا فيه من الفتح والامتلاك . وقد جاء ذكر الراية الانكليزية المظفرة قبل الراية المصرية في تصريح حضرته الرسمي . والسودانيون يسمون الراية المصرية هكذا « الرويبة » تصغير راية او « التريكوه » تصغير تركيه فاذا كانوا (يعني جرائد مصر على الاغلب) ناطقين باميال الامة السودانية فليفهموا معنى هاتين الكلمتين اللتين ندعهما بلا تفسير . ـ وقد اضحكني ادعاؤهم بان حضرة الوالي (يعني الجناب الخديوي المعظم) قوبل هناك بالاحتفاء والزينات فاذا كان بين عباراتهم كلمة صدق فهي هذه . اذ الزينات والحفاوة واجبان لكل ضيف سيما اذا كان الغرض منها مثل هذا الاعتراف الذي قطع كل قيل وقال وفقاً حصرمًا في اعين المدعين باننا نميل الى الترك (المصريين) ونبغض الانكليز سبحانك هذا بهتان عظيم . ـ ومما يدحض حجتهم وينهض حجتنا ما يقوله السودانيون اجمعون باننا احتفينا وزينا عملاً بواجب الضيافة ولكننا لم نبرهن قط باننا نميل الى حكمه دون الانكليز بدليل اننا لم نرفع الى حضرته اقل شكوى ولم نسأل جنابه ادنى مسألة . ـ والفرق ظاهر بين ما استقبلنا به

حضرته و بين ما نستقبل به صاحب الفخامة اللورد كرومر مصلح وادي النيل الذي لا يصل الى بلد او محطة حتى يحتشد حوله الالوف من الاهلين وهم يصيحون بملء افواههم قائلين « يا وكيل الملك نشكو من كيت وكيت» ونريد « كذا وكذا » . فيقف وسط الجموع وينظر في جميع ما يعرض عليه ويكلمنا عن الدقيق والجليل من الشكاوى او الالتماسات التي نعرضها عليه . وينفق في كل رحلة الالوف من الجنيهات ولم يشأ نشرها والطنطنة بها على صفحات الجرائد حتى صار الذين يؤاسيهم بتلك الاموال يطالبونه بوفائها كلما زار السودان وهي اعطية تذكر نأتي على ذكر واحدة منها قياساً على الباقي وهي ثلاثون جنيهاً لامام مسجد ام درمان ومن على شاكلته كل بما يناسب مقامه . فهل فعل حضرة الخديوي شيئاً من هذا القبيل وهل سألناه اياه وهل اذا سألناه نجد منه ما نجده من فخامة اللورد كرومر ؟ »

هذه هي المبادىء والآراء التي تنشرها رصيفتنا جريدة السودان و بموجبها يكون غريباً كل من لم يكن سودانياً . ونحن لا نعلم هل هي منطبقة على آراء السودانيين حقيقة او فيها شيء كثير من المبالغة كما اننا لا نعلم هل يرضى عنها شركاء مصر في السودان او لا يرضون خصوصاً حاكمه العام المشهور بالاعتدال والتأني والحكمة سعادتلو ونجت باشا . ولكن ما لا ريب عندنا فيه ان هذه المبادىء تضر السودان ومصر معاً . وحسناً يصنع السودان اذا لم يُدخل اليه وباء الجنسيات والمذهبيات التي هي عبارة عن ميكروبات الانحطاط والضعف والانحلال في الامم . بل يتشبَّه بالولايات المتحدة تلك الامة الفتاة القوية التي ينادي رئيس جمهوريتها في خطبه بقوله : فلتأتنا العناصر القوية من كل اقطار الارض لاننا الآن في زمن نؤلف فيه بالتدريج الامة الاميريكية العظيمة . ولكن لو افترضنا المستحيل واحتلت احدى الدول الولايات المتحدة فان الشغل الاكبر للدولة المحتلة يكون منع تقوية الامة الاميريكية المختلطة بالعناصر القوية الحية التي تهاجر اليها . فبدلاً من ان يكون سكان اميركا كلهم « اميريكيين » كما هم اليوم يصبحون ومنهم « الاميريكيون الاصليون » والايرلنديون والالمان والهولانديون والفرنسويون والايطاليون والسوريون — اي يُجزاء ذلك الكل الكبير الى اجزاء تتدافع وتشتغل باضطهاد بعضها بعضاً ولا يكون في ذلك غير انتصار القوي المشرف على الفريقين الذي يضحك في سره لهذا الانقسام المنطبق على سياسته لكونه يشغل محكوميه عنه و يلهيهم بانفسهم و بصغائر الامور

هذا ما رأينا ان نقوله في رأي جريدة السودان . ولذلك نتمنى لها ماتمنته لها جريدة المؤيد من الاعتدال لاسيما وانها فاتحة الصحافة في السودان واول ما تقع عليه انظار الناشئة السودانية

مقاومة داء السل

اجتماع اللجنة الدولية في باريز وخطبة المسيو كازيمير بريه الذي كان رئيساً للجمهورية الفرنسوية

ألّفت الدول الاوربية لجنة دعتها «لجنة مقاومة داء السل الدولية» وغرضها درس الطرق الفعالة لمقاومة هذه الآفة المهلكة بالاتفاق بين الدول . وقد وفد اعضاء هذه اللجنة الى باريز للاجتماع فيها وفيهم كبار الاطباء فعقدوا في ٥ مايو جلستهم الاولى وقد رأسها المسيو كازيمير بريه الذي كان رئيساً للجمهورية والقى فيها خطبة الافتتاح . ومما قاله ان مؤتمر السل الدولي القادم سيجتمع في العام المقبل في باريز . ثم قال ان الناس كانوا يعتقدون قبلاً بان هذا الداء الوبيل يستحيل شفاؤه اما الآن فكل المؤتمرات وجميع العلماء قد صرحوا بان شفاءه امر سهل اذا تداركه صاحبه . وبعد ذلك قال انه ليس من العدل ان نقضي بفرز المسلولين واعلان دائهم قبل ان نوجد لهم اماكن للمعالجة يعيشون فيها مستريحين حتى الشفاء . واشار الى ان مسالة مقاومة هذا الداء مرتبطة بالمسالة الاجتماعية في العالم لان شفاءه يقتضي تحريك كل القوات الاجتماعية اي يقتضي ان تهتم الامم بتحسين احوال الشعب ومساعدة الناس ادبياً ومادياً لئلا يفغي بهم جهلهم وفقرهم وافراطهم الى الوقوع فيه . ثم قال مخاطباً الاعضاء : ولكم حلفاء ايها السادة يجب ضمهم اليكم . وهؤلاء الحلفاء هم اولئك الكرام الذين يهتمون باصلاح مساكن العملة . وجمعيات التعاون التي تجمع الفقراء وتولد لهم الغنى من الفقر بواسطة اشتراكهم فيها بمبلغ جزئي . واولئك الذين يقاومون المسكرات بجرأة وشجاعة . فاجمعوا هذه القوات وضموها . وسيروا كرسل المدنية والسلام شاهرين حرباً عواناً على آفتي الجنس البشري وهما : الشقاء المادي والشقاء الادبي

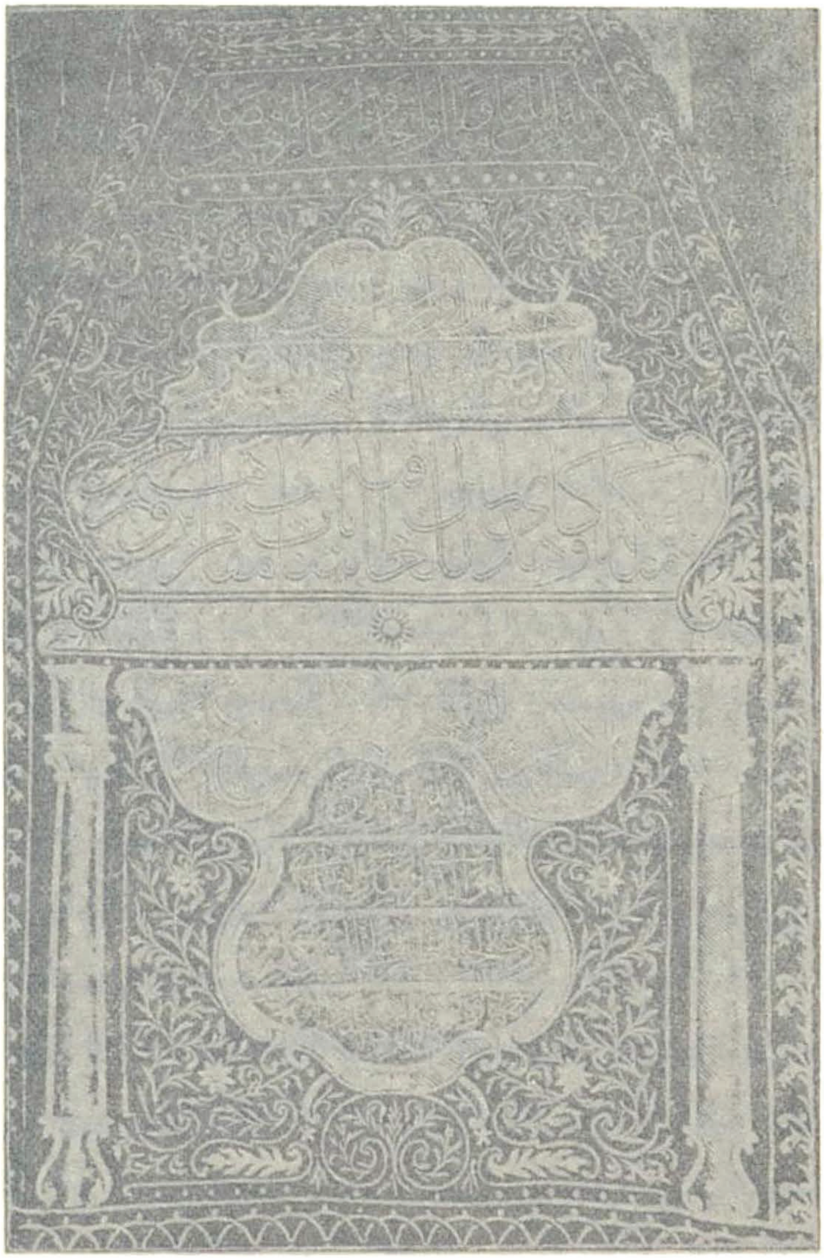
ثم قال : ولقد سألني رئيسكم الكريم المسيو بروواردل ان اجلس في مكانه في هذه الجلسة . فانا اعتبر انني لم اجلس هنا الا لامثّل الرأي العام ولاقول لكم بالنيابة عنه اننا ننتظر من العلم تحقيق الآمال . فسيروا ونحن نتبعكم وامامنا العلم كعمود من نار ينير الطريق »

وقد حضر هذه الجلسة كثيرون من علماء فرنسا واوروبا في جملتهم فون ليدن طبيب امبراطور المانيا الخاص نائباً عن المانيا . ويعد اجتماع هذه اللجنة في باريز تمهيداً للمؤتمر الدولي العام الذي سيجتمع فيها في القام القادم كما اجتمع في لندن منذ سنة

عاد من الحج فائزًا بالرهان

(قصة)

لما قررت الحكومة في هذا للعام تسيير الحجاج مع ركب المحمل واوجبت على من يريد الحج دفع ٥٠ جنيهاً او ٧٠ انقوم هي بنفقة طريقه استاء الذين كانوا عزموا على قضاء هذه

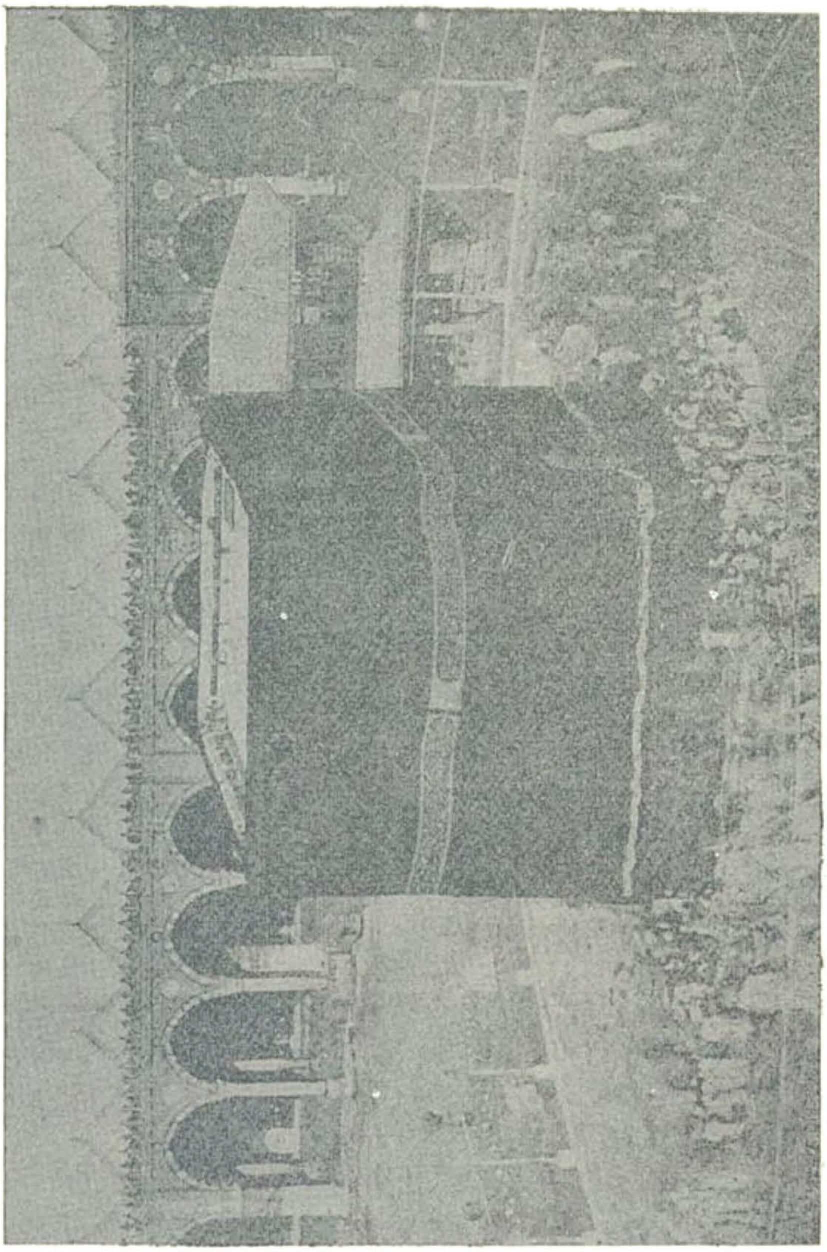


الكسوة السنية التي يحملها المحمل في كل عام

الفريضة الدينية المقدسة من الطبقات المتوسطة والعامة لاستصعابهم دفع ذلك المبلغ او



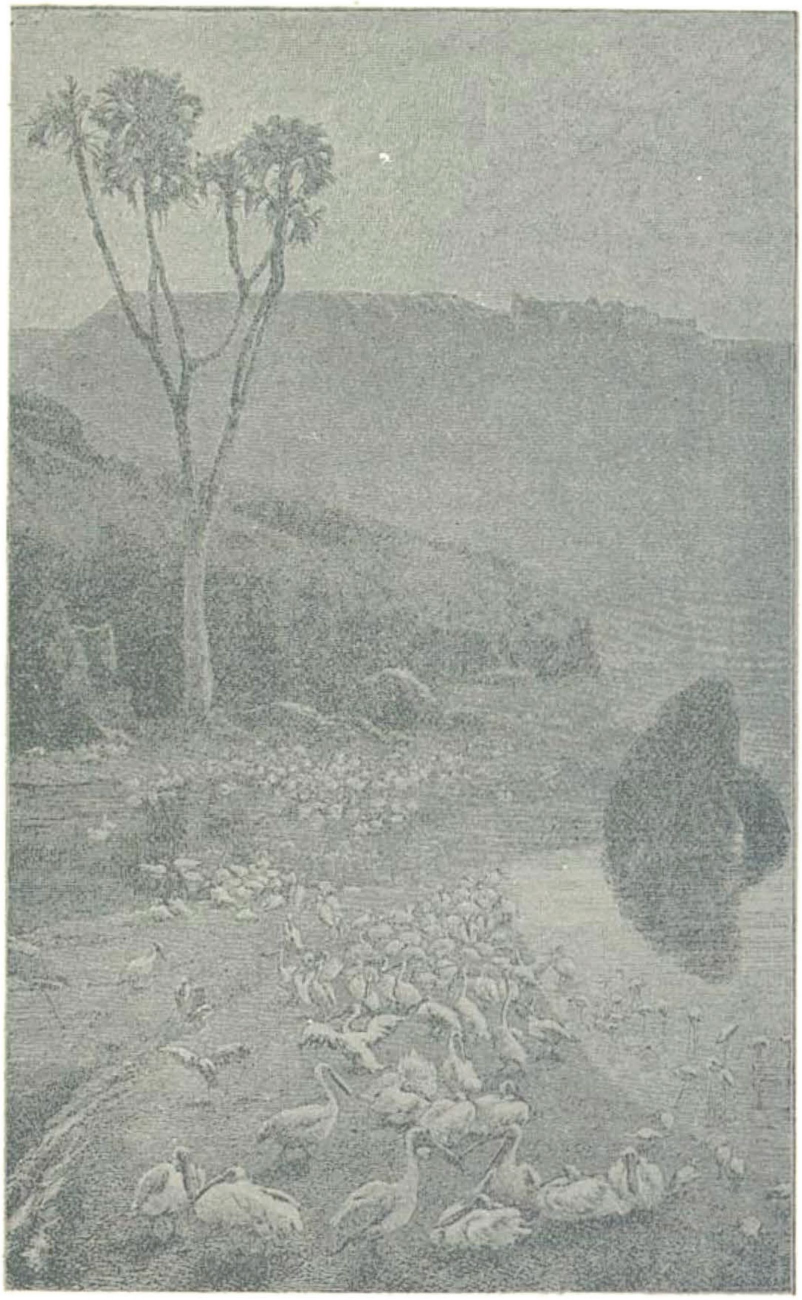
﴿ قافلة للحجاج نازلة قرب مكة ﴾



﴿ الكعبة المكرمة والطواف حولها ﴾

لعدم مقدرتهم عليه . ولذلك امتنع الحجاج المصريون عن السفر في هذا العام الا ٢٢ شخصاً دفعوا الرسم المذكور وسافروا مع المحمل

ففي يوم تشييع المحمل في العاصمة كان اثنان يتحادثان على مقربة من الاحتفال . وكان احدهما شاباً قوياً مفتول العضل وهو من « جدعان » الريف الذين لهم فيه غارات معروفة على الاطيان يسممون مواشيها ويقتلعون زراعتها ويقتلون خفيرها اما انتقاماً منه او من صاحب الاطيان نفسه . فقال هذا الشاب لرفيقه وكان شيخاً ضعيفاً : ما قولك يا ابتاه اذا كسرت امر الحكومة وسافرتُ الى الحج بدون ان ادفع الرسم



﴿ جبل الطيور على شاطئ البحر الاحمر (الصفحة ٢٠٧ السطر ٣) ﴾

وكان بجانبها رجلٌ عليه لوائح السعة والثروة وكان ينظر كل تلك المدة الى حفلة المحمل بشيء من الانقباض . ذلك انه كان يقول في نفسه : ان الاصل في تسيير هذا المحمل يحمل الكسوة السنية المعدة للمكان السني الدلالة على ان طريق الحج مفتوحة لا خوف على سالكيها . وهذا معنى انشاء الملك الظاهر عادة تسيير هذا المحمل من القاهرة . فكيف يسير المحمل في هذا العام والطريق نصف مسدودة

الا ان هذا الرجل لما سمع كلام الشاب التفت اليه وقال له : ماذا تقول ماذا تقول .



﴿ اهل الحجاج ينتظرونهم على شاطىء البحر الاحمر ﴾

فالتفت الشاب اليه وسلم قائلاً : مرحبا عمي حسن . انني اقول انني لو اردتُ اسافرت الى الحج من غير ان ادفع الرسم . فاجابه العم حسن . هذا امر مستحيل يا احمد . فقال الشاب وان قدرتُ عليه فماذا تدفع . فاجاب الرجل ادفع لك الرسم الذي قررته الحكومة اي ٥٠ جنيهاً . فقال الشاب متحمساً قد قبلت هذه المراهنة وساسافر الساعة

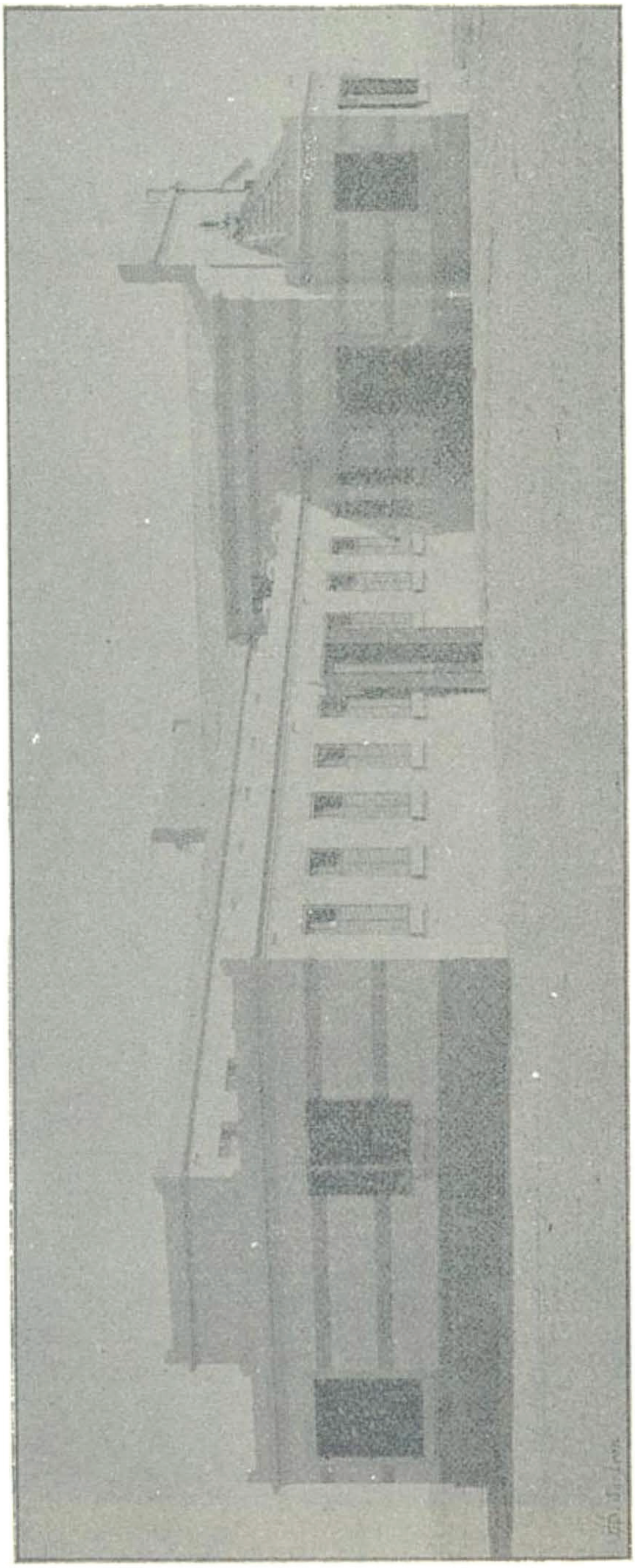
وفي الحقيقة ان الفتى احمد هيأ نفسه في ذلك اليوم للسفر . فما برح المحمل القاهرة حتى كان هو قد ركب القطار قاصدًا الاسكندرية ومنها ركب احدي البواخر الخديوية قاصدًا بورسعيد . وفي الباخرة اختلط ببعض الركاب الاتراك المهاجرين فابتاع منهم شيئًا من ملابسهم وعمامة ضخمة كعمائمهم وتعلّم منهم بضع كلمات باللغة التركية : « بك اعلى » (جيد جدًا) « اوت » (نعم) « يوك افندم » (لا ياسيدي) « صباح شر يف لرنز خير اولسون افندم » (نهاركم سعيد يا سيدي) « صو استيورم » (اريد ماء) « بكي بكي » (طيب طيب) ثم حمل عصا طويلة ضخمة ليتوكأ عليها وسار في الباخرة كلها يضرب ظهرها بعصاه ويردّد



﴿ عيون ام موسى ﴾

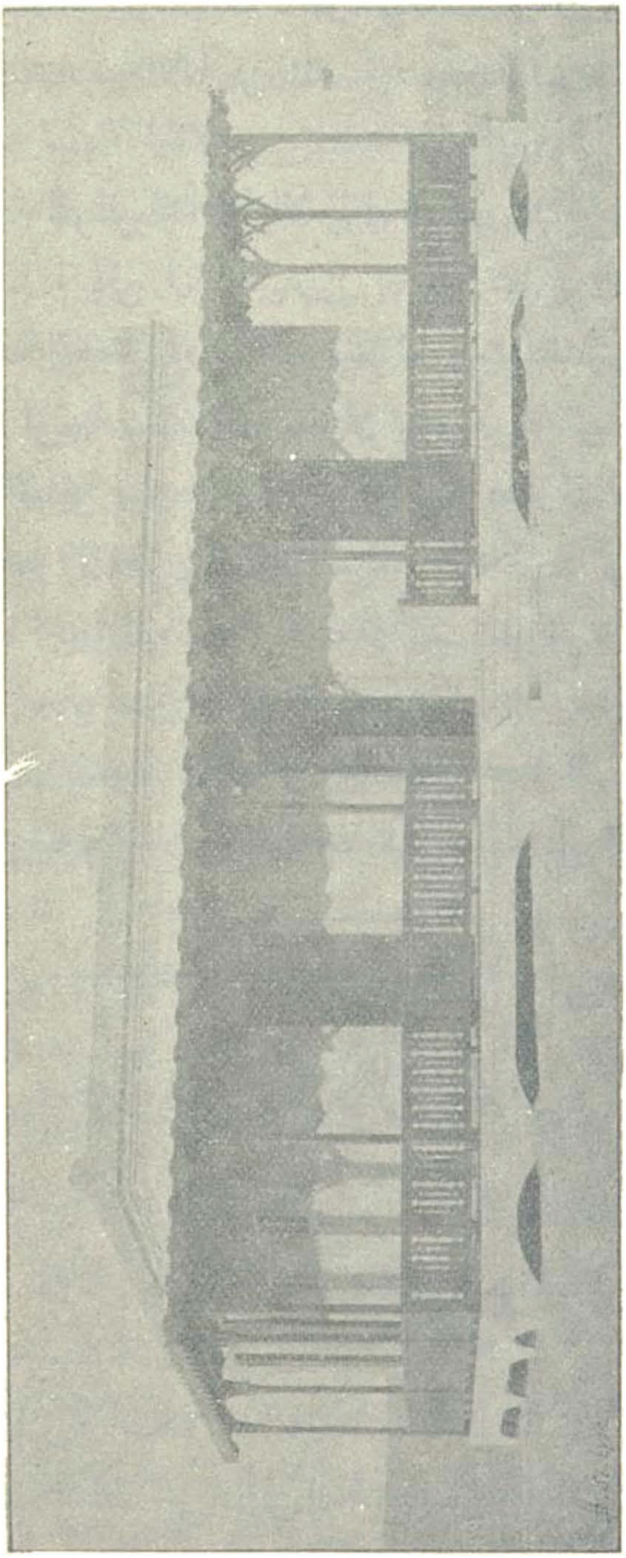
هذه الكلمات كأنه نسي اللغة العربية تماماً

ولما وصلت الباخرة الى بور سعيد نزل الى البر تركياً محضاً لا شك فيه . ومن بور سعيد اختلط بحجاج الاناضول وسار معهم حاجاً تركياً فطاف الحجاز كله وحج حجاً هنيئاً . ومما زاد سروره انه استطاع خلع الزي التركي في الحجاز واختلط بالحجاج المصريين . ولما



﴿ دار المرضى في محاجر الحجاج ﴾

انصرف الحج عاد قافلا . فانفرد ببعض اصحابه وزيّن لهم ان يستقلوا عن الحجاج حين وصولهم الى الشاطئ ويركبوا بالسر سفينة الى الشاطئ الافريقي على البحر الاحمر ومن هناك يعودون الى مصر عن طريق سواكن كانهم قادمون منها لا من الحج وبذلك لا يدخلون



﴿ دار التطهير والتبخير في محاجر الحجاج ﴾

المحاجر . ففرح رفاقه بهذا التدبير واعجبوا بذكاء رفيقهم . فركبوا جمالهم وهم مسلحون بالسلاح الكامل لا يخشون من العرب غارة حتى وصلوا البحر بعد السفر اياماً طوالاً . وحين نزولهم من البحر شاهدوا هناك جبلا يسمونه جبل الطيور لكثرة ترددها عليه . فنزلوا ليصطادوا شيئاً

منها . غير ان احدهم وكان اكرمهم اخلاقاً قال لهم لا تستحلوا الآن دماً حتى ولا دم الطيور لاننا عائدون انقياء انقياء من الاماكن المقدسة » وهكذا بقيت تلك الطيور الجميلة آمنة في مواقعها

ثم ركب اصحابنا البحر من الشاطئ الاسيوي قاصدين الشاطئ الافريقي . الا انهم وجدوا في طريقهم ما لم يكن في الحسبان . فان مجلس الصحة والمحاجر اقام هناك مخافر مخصوصة شديدة المراقبة لمنع فرار الحجاج من الشاطئ الاسيوي الى الشاطئ الافريقي قبل قضائهم مدة الحجر . فامسكهم الجنود بعد ان تهددوهم بالرصاص وارسلوهم الى محاجر الطور

فلما كانوا على الطريق صار صاحبنا تركياً مرة ثانية . فصار يتمتم و يدمدم بكلام يُفهم ولا يُفهم . فما وصل الى المحجر الا وهو تركي صرف فاسكنوه بين حجاج الاتراك و بذلك خلّص نفسه

ولما انقضت مدة الحجر وذهب عناء الانتظار ركب البحر مع باقي الحجاج الى السويس وفيها خلع الزي التركي وعاد مصرياً . وفي السويس ركب السكة الحديدية كراكب من السويس لا كحاج وكان دخوله الى العاصمة يوم دخول المحمل اليها عائداً من الحج

و بذلك استحق قيمة الرهان وقبضها مسروراً بانه فاز على الحكومة وحج من غير ان يدفع رسماً

جبرائيل الدلال الحلبي

نُشرت ترجمة المرحوم جبرائيل الدلال الشاعر الحلبي مقرونة بمقتطفات من شعره فرأينا تلخيص شيء منها هنا اهتماماً برجال الادب في الشرق خصوصاً من كان منهم مجهولاً لا تتعدى شهرته بلده في هذا الزمن

ولد جبرائيل الدلال في سنة ١٨٣٦ في حلب ودرس مدة في مدرسة عين طورا في لبنان ثم عاد الى وطنه واكب على درس اللغة الفرنسوية والطليانية والتركية . « وكان يحفظ ديوان المتنبي واكثر شعر صفي الدين الحلي ومقامات الحريري وكثيراً من مقدمة ابن خلدون والمعلقات السبع والبردة وطائفة من اشعار العرب وقسماً كبيراً من القرآن الكريم » ثم سار الى الاستانة فاقام فيها مدة وامتدح بعض وزرائها وبعد ذلك عاد الى حلب ومنها سافر للسياحة في اوروبا مع قرينته فوصل الى البرتغال وقابل ملكها ومن هناك انحدر الى اسبانيا لزيارة آثار العرب في الاندلس وقد كتب يقول في ذلك « فبتُّ كأني اشاهد من الامراء

والوزراء خيال المعتمد بن عبّاد صاحب قرطبة واشبيلية وابي الحجـاج وبني السراج وبني المظفر ومن العلماء والشعراء ابن خلوف وابن زيدون وابن عبدون وابن خاقان وابرهيم بن سهل . وكنت ارى آثارهم واضحة لا فقط من الاسماء الباقية على كثير من الاماكن والابنية العربية الشاخة بل ايضاً من هيئة الجنس والسحنات الدالة على الاصل العربي واخص ذلك العيون والحواجب »

ولما عاد الى باريز « انتدبه وزير المعارف للتحرير في صحيفة الصدى العربية التي كانت تصدر فيها بامر الحكومة الفرنسوية . لكنه لم يكن يكتب فيها ما يريد بل ما يُراد بايعاز وزارة المعارف الفرنسوية المشار اليها وكان يترجم بين سفراء الحكومات العربية الذين كانوا يقصدون باريز كوزراء مراكش وزنجبار وبين وزراء فرنسا » « ثم قدم باريز خير الدين باشا وزير باي تونس فاتخذه نديماً وجعله امين سره » ولما استدعي خير الدين باشا الى الاستانة ليكون صدراً اعظم فيها ارسل فاستدعى صاحب الترجمة الى عاصمة السلطنة « وانتدبه لانشاء صحيفة (السلام) وكان الصدر ينشر بها آراءه السياسية وافكاره في طرق الاصلاح وعُرفت انها جريدة الصدر وقد ارَّخ ظهورها يومئذ المرحوم ابرهيم كرامه وهو ابن الشاعر المشهور بطرس كرامه بهذين البيتين »

نُشرت صحيفتنا (السلام) ونشرها قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضاق بالخبر الصحيح مؤرِّخٌ يتلو حوادثه السلام عليكمُ

وبعد استقالة خير الدين باشا جُعل صاحب الترجمه استاذاً للغة العربية في المدرسة الملكية في فينا ثم قدم الى حلب فاكرمه اهلها المشهورون بحب الادب ولكن حدث بينهُ وبين بعض خصومه فيها نفور افضى الى هجر وطنه واتخاذه بيروت مقاماً له . ومنها قصد الاستانة وكانت له معرفة بوزير المعارف منيف باشا وكثيرين من الاكابر والوزراء فعينه الصدر كامل باشا اميناً لصندوق المعارف في حلب ورئيس المحاسبة في دائرتها واستاذاً اول للغة الفرنسوية في مدرستها الاعدادية . ولكن بعض خصومه فيها اتهموه « بتأليف وطبع قصيدة (قبل ذلك العهد بزمن بعيد) تخالف القوانين العثمانية فالقي في السجن بعد ان عُزل من منصبه وظلَّ فيه سنتين » ثم توفي فيه في سنة ١٨٩٢ عن ستة وخمسين عاماً

ومن شعره في رثاء شقيقة له توفيت بازمير

اثرى الحبيبةِ باكرتك غوادي دمعٍ يصعّده زفير فؤادي
يا ليتَ شعري والبلاد بعيدة هل تسمعينَ شقيقتي فانادي

أغريبة الاوطان هل من عودة ترجى فذكرك لم يزل في النادي
حقّ الطبيعة ان اكون مقدَّماً فعلامَ قد اخلفتِ في الميعادِ
شطّ المزار واصبح الاخوان بالـ شهباء ذاك وذا بغرب بلادِ

وله في الغزل

ومليحة قلبي لديها قد صار اهون ما عليها
قصدت تكمل حسنها لتزيد فتنة مقلتيها
فتمايلت وتضاحكت وغدت تزجّج حاجبيها
ا نظرتها مرآتها فعكستْ فتنتها اليها

وله في مزين

يا رُبّ حلاقٍ بلوني به اذاقني مرّ العذاب الاليم
شماله كالطور ثقلاً وفي يمينه موسى وخدي الكليم

ولما كان في بيروت بعد هجره وطنه كما تقدم كتب اليه ابن اخته جناب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي ناشر الترجمة التي نحن في صددها (من منزل الشاعرة السيدة مريانا مراش) يشوقه فيها الى حلب فاجابه صاحب الترجمة بقصيدة طويلة يفاخره فيها ببيروت ومحاسنها . منها

وذكرتم لنا ضروباً من الحلوى م التي تاكلونها بالمرافع
وبها تصنعون اقراص شيبا نَ ولوزينجا وغير صنائع
ذا طعامٌ ان لذّ فهو غليظٌ كظَّةٌ للرغيف غصةُ بالع
فانعموا بالتقامه واستلذّوا والعقوا عقبه رؤوس الاصابع
اين هذا مما هنا يصلح الطا هي طعاماً للهضم يصلحُ نافع
عندنا البحر نجتني الخز الاسماك منه وتاء كلون الضفادع
وجبالٌ نصيد منها صنوف ال طير ما بين ناهض ثم واقع
واذا لم يكن هنا غير ان ال حرّ فيها يعيش دون منازع
فهو يكفي حظاً لقلبي وان سا لتْ على غربتي غروب المدامع

ثم قال انه لا يشتهي من الشهباء

غير قرب الفريدة اللطف ذات ال صون والحسن والذكا والبدائع
ربةُ الفضل والفضائل مريا نا التي ذكرها يسرّ المسامع

والتي زانها الكمال اذا زا ... نَ سواها الحلي وسدل البراقع
ان تكن اطعمتكمُ الان تفا ... حًا شهيًا نخلتموهُ كيانع
ذاك لا بدعَ انها بنت حوًا ... وحديث التوراة في الامر ذائع
اشبهتها والامّ للبنت طبعًا ... اقرب الشبه ما لذلك دافع
بيد ان التفاح في البرد لا ينضج والطعم منهُ بالحمض فاقع
وهو فجٌّ كالخلّ طعماً فانْ ما ... لتْ الى اكلهِ فمن ذا يراجع
غير مستنكرٍ محبتها الاحماضَ حبُّ النساء للحمض شائع
ما عسى ان يكونَ تفاحكم انّ ... م لاثمارنا تحنُّ الاضالع
ولدينا النرنجُ اضحى يحاكي ... أُكَرَ التبرِ فهو اصفر لامع
وكذاك الرمان فالحبُّ كاليا ... قوت لونًا والقشر ابيض ناصع
يفضلان التفاحَ لونًا وحجماً ... وانا تعلمون في ذين والع
وبودّي اذيقكمُ ثمر المو ... ز الشهيّ اللذيذ يُشبع جائع
وكذا التمر وهو كالشهد طعماً ... طاعه كالنجوم في الافق طالع
وطويل الرماح من قصب السكرِ ... م مصًا فما رماح المعامع
فاذا عدتُ نحوكم جئت منها ... بالهدايا لكم متى ابت راجع

هذا احسن شعر المرحوم جبرائيل الدلاّل . وله غير شعره عدة مؤلفات منها « رسالة في الهمزة واحكامها ورسالة ثانية في قواعد اللغة العربية تقرّب منالها على الطالبين من الفرنج ورسالة في ملخص التاريخ العام وكلها لم تُطبع عدا روايات كثيرة ترجمها عن الفرنسوية وبعضها مطبوع وهو نادر الوجود » اما قصيدته التي سُجن من اجلها وعنوانها « العرش والهيكل» فهي قصيدة طويلة حذا فيها حذو فولتير في التهكم على الدين والملوك

فنحن نثني على حضرة الكاتب الفاضل جامع هذه الترجمة لانه احيا بها ذكر شرقي فاضل هو اهل لهذا الاكرام . انما كنا نودّ لو خفف حضرته قليلاً من المبالغة في وصف ممدوحه للمطابقة بين الوصف والموصوف . فان قوله في ممدوحه « فكأنه (يعني المرحوم صاحب الترجمة) اخذ القلم ونفخ فيه من روحه ثم قال باسم ربك تكلم فنطق بما لو كان بلغة الفرنج لقالوا افهذا سحرٌ ام انتم لا تبصرون) لما لا يُقال الآ للمتنبي او لفيكتور هيكو او جوت او شكسبير او شوقي بعد ٢٠ سنة اذا استمرّ يشتغل ويدرس بجدّ . ونحن نتمنى ان يقلل المشارقة ما امكنهم من هذه المبالغات التي يصفهم الفرنج بها

آثار الشرق القديمة

بقايا الصنائع في الشرق

السجاد العجمي

وحسن ذوق النساء الشرقيات

ذهب الزمن الذي كانت فيه المعامل العربية في الاندلس وشمال افريقيا تصنع المصنوعات وتصدرها الى الشرق والغرب وجاء الزمن الذي صار فيه الغرب مصدرًا لتلك المصنوعات الى الشرق . غير ان الشرق لا يزال يُصدر الى الغرب صناعة لم يستطع الغرب حتى الآن ان يصنع مثلها . ونريد بذلك السجادات العجمية التي هي آية في حسن الاتقان والزخرف والمتانة

وهذه السجادات تصدر الى اوروبا باسم « سجادات بخارى » (١) وهي في الحقيقة من خمسة مصادر لا من بخارى وحدها . الاول بلاد العجم (والثاني) الاناضول (والثالث) القوقاز (والرابع) آسيا الصغرى (والخامس) بلاد الهند

وافخر السجادات التي تصدر من هذه الاماكن المتعددة سجادات طهران وخراسان وكردستان وقرمان . وصناعها يفاخرون بعضهم بعضًا باتقان صناعتها . والغالب ان صناعتها في يد النساء . ولذلك يتزوج الرجال بالنساء الماهرات في هذه الصناعة وان كن متقدمات في السن او لم يكنّ على شيء من الجمال ويفضلونهن على الجميلات اللواتي لا يحسنّ هذه الصناعة . وربّ امرأة تشتهر بهذه الصناعة فيصير لها من الاحترام والكرامة عند زوجها واهلها ما لنساء الغرب من سمو المقام والاعزاز

ومما هو حري بالذكر والاعجاب تمكن اولئك النساء البدويات الساذجات من اتقان هذه الصناعة الى حد الاعجاز . فقد قيل ان اتقان الفنون انما هو نتيجة ارتقاء الانسان في الحضارة وتهذيب ذوقه ببدائعها ونفائسها قرنًا بعد قرن . ولذلك لا يخاف بعض الغربيين

«١» السجادات افخر انواع البسط سميت كذلك لاتخاذها تحت المصلي يسجد عليها كما هي العادة في الشرق كله . وهي زينة المنازل في الاقامة ورفيقة المسافر في السفر للصلاة وقضاء حوائجه عليها

من الشرقيين على صنائع الغرب و بضائعه لان هذه الصنائع المحكمة والبضائع المتقنة نتيجة مدنية الغرب قروناً طويلة . فاذا كان هذا القول سديداً فما الذي يمكن تلك البدويات الجاهلات من ان يخرجن من بين ايديهن نفائس فنون في غاية الزخرف والجمال و الاتقان حتى ان اوروبا نفسها لتعجز ان تصنع مثلها . نعم انه قد مر على اسلاف هؤلاء النساء نحو الف سنة وهن يمارسن تلك الصناعة ولذلك اتقنها ذلك الاتقان البديع . ولكننا نظن ان مرور الزمن الطويل لا يكفي لجعل الجاهل بالصناعة صانعاً ماهراً مبدعاً اذا لم يكن في نفسه وذوقه استعداد لقبول روحها. فلا ريب ان النساء العجميات والكرديات والقوقازيات ذوات استعداد عظيم للفنون والصنائع اليدوية الجميلة . ولو ربين في مدارس اوربا التي تعلم النقش والتصوير والرسم لنبغ منهن عدة نابغات

وقد شهد الفرنج ان المعامل التي اقيمت في اوربا لصنع السجاد والبسط فيها على الطريقة الشرقية لم تتمكن حتى الآن من ان تصنع مثل السجادات الخارجة من ايدي اولئك النساء الشرقيات بل هي تصنع شيئاً قريباً منها . ومما زاد الصعوبة ان لاولئك العاملات الشرقيات طريقة في صبغ الصوف الذي ينسجن السجاد منه وتلوينه الواناً جميلة ثابتة مختلفة وهذه الطريقة سر من الاسرار التي يتوارثنها في هذه الصناعة جيلاً عن جيل ولا سبيل للاطلاع عليه . وهب ان المعامل الاوربية وقفت على هذا السر الصناعي فانها تبقى بحاجة الى الشجرة التي تزين بها العاملة الشرقية سجادتها تزييناً لا يخطر في البال

وافضل السجادات الشرقية من حيث الزخرف والزينة سجادات النساء الكرديات اللواتي يحكنها في جبالهن الشاخة . والفرنج يطلبونها لجمالها ودقة صناعتها الغريبة . فان الواحدة منها قد تحتوي في كل متر مكعب ٧ او ٨ الاف زهرة مشتبكة متعاقدة ولونها صاف نقي . ولذلك يقف عملة الفرنج مدهوشين امامها

قال احد السياح الذين ساحوا في جهات آسيا الوسطى : ان السائح اذا زار آسيا الوسطى وجبال القوقاز وصار يفتش عن السجادات النفيسة لدى السكان بصبر وتأن فانه يبتاع منهم باثمان بخسة نفائس يبيعها في اوربا متى عاد اليها باضعاف ثمنها الاصلي عشرين مرة او خمسين

آثار قديمة في جوف البحر

للارخبيل في البحر المتوسط ويُعنى بها جزيرة رودس وما حولها وبعدها من الجزر — اهمية كبرى في نظر التاريخ اذ كانت مهد قوة وعلم وصناعة يونانية ضرب بذكرها المثل حتى عد هيكل رودس النحاسي احد عجائب الدنيا السبع فكل ما يستخرجه الآن منها الباحثون عن العاديات يتلقاه عالم الاثار القديمة باهمية كبرى ويجيل فيه نظره ليستخرج منه الحقائق التاريخية

وقد اطلعنا اخيرًا ان صيادي الاسفنج في جزيرة شيا من توابع ولاية جزائر بحر سفيد غرق لهم بالقرب من (سريقوتو) سفينة واذ كانوا يتحرون عليها في البحر عثروا في قعره بعمق ٥٠ مترًا على جملة كبيرة من الهياكل والآثار القديمة فتمكنوا من اخراج اهمها وهي ستة هياكل :

١) رأس انسان في ارتفاعه الطبيعي مصنوع من النحاس واذ كان يشبه رأس المحاربين فلم يبق شك انه كان في اوليمبي

٢) هيكل نحاسي ارتفاعه ٥٤ سنتيماً وهو سالم محفوظ ٠ وقد استلفت انظار علماء الآثار بدقة صنعه ٠ ومما زاد في اهميته لديهم اعتلاء تاريخه الخامس قبل الميلاد وصنعه بيد الرسام الشهير بوليقله او احد تلامذته

٣) هيكل نحاس ارتفاعه ٤٥ سنتيماً وتاريخه يعلو للعصر الثالث والخامس وعلى كتفه الشمالي نوع من الاردية الوسيعة

٤) هيكل امرأة بقطع صغير للعصر الخامس من الميلاد ٠ وهي مصنوعة على اصول (اوربك) المعمارية الا ان القسم العلوي منها مفقود

٥) هيكل من المرمر مصنوع بدقة عظمى وهو يصور رجلاً قد القي اليه شيء من الكلام ذو بال وهو يمعن النظر فيه

٦) هيكل نحاسي ارتفاعه متران الا انه منكسر لعشرين قطعة كبيرة الامر الذي اوجب اسف الباحثين ٠ وهو من اعظم ما يستدل به على دقة الصناعة اليونانية

« جريدة طرابلس »

باب الاخبار العلمية

﴿ الارسنيك في كل عناصر الطبيعة ﴾ ذكرنا في الجزء السابق نقلاً عن مجمع العلوم في باريز خبر اكتشاف الارسنيك في كل عناصر الطبيعة تقريباً حتى في جسم الانسان. وقد ورد حديثاً في وقائع المجمع ان المسيو جبرائيل برتران وجد الارسنيك في البيض وهو كثير في الصفار وقليل في البياض (المح)

﴿ اخطار اكل الفسيخ والسمك المالح ﴾ كثيراً ما يصاب اكلة الفسيخ والسمك المملح النيء بالتسمم عقب الاكل ويقضون نحبهم من تلك الاكلة. وسبب ذلك ان السمك المملح يتولد فيه بتركيب كيماوي خصوصي سم قاتل وذلك قبل الفساد متى اوشك ان يفسد. وقد كثرت حوادثه في اوربا وروسيا فوضعت اكاذمية العلم في بطرسبرج ثلاث جوائز لمن يؤلف احسن كتاب في هذا الموضوع. الجائزة الاولى قيمتها ٥ الاف روبل والثانية ١٥٠٠ والثالثة ١٠٠٠. وموضوع هذا الكتاب درس مادة السمك السمية ووصف اعراض الاسماك التي تحتوي على شيء منها والاسماك السليمة والاسباب المانعة لتسمم السمك والادوية الناجعة في علاج دائه بعد وقوعه. وفي اول العام القادم سيصدر حكم الاكاذمية في الكتب التي تعرض عليها. فلا ريب انه من الضروري نشر خلاصة هذه الكتب في هذه البلاد

﴿ الغليسرين في الدم ﴾ وجد المسيو موريس نكلو الغليسرين في دم الحيوانات فكان هذا الاكتشاف مهماً اذ ربما توصل الباحثون الى معرفة سبب وجود الدهن في الدم الطبيعي من مجرد درسهم المادة الغليسرينية المذكورة

﴿ رمل افريقيا طار مسافة ١٥٠٠ كيلومتر ﴾ ابلغ المسيو شوفو مجمع العلوم في باريز انه شاهد على مسافة ٥٠٠ ميل من جزيرة اسور احدى جزائر الاوقيانوس الاتلانتيكي سحاباً طائراً في الفضاء وقد تكاثف حتى حجب نور الشمس. ولما صار فوق قرية سان نقولا وقع منه شيء على الارض فاذا به رمل دقيق. وقد اثبت المسيو شوفو انه من رمال صحرائنا الافريقية حملتها الرياح الى تلك الجزيرة وبينهما مسافة ١٥٠٠ كيلومتر. فتامل

﴿ غناء الصحراء ﴾ كل الذين سافروا في الصحراء لا بدَّ ان يكونوا قد سمعوا اصواتاً ترد من باطن الارض في وسط تلك القفار الهادئة. وقد ذهب بعضهم ان سبب

تلك الاصوات تماوج الرمل على سطح الارض · غير ان البعض الآخر رجح ان السبب هو احتكاك مليارات دقائق الرمل بعضها ببعض في الارض لانها في حركة دائمة

معرفة دم الانسان من اثره كثيراً ما يوجد على ثياب القتلة اثر دماء القتلى فيدعون انها دماء حيوانات لا دماء بشر فيحتار الكيماويون والقضاة في ذلك اذا كانت تلك البقع الدموية قديمة جافة · على ان الدكتور لينوسيه والدكتور لموان اكتشفا طريقة يُعرف بها دم الانسان بسهولة · ذلك انهم يحقنون الارنب بدم الانسان مراراً ثم يستخرجون منه مصلاً ويضعونه في زجاجة صغيرة · واذا ارادوا فحص بقعة الدم الجافة يبلون القطعة بماء حتى يتشربها الدم ثم يعصرونها · وبعد ذلك يصبون من هذا الدم المعصور في الزجاجة التي فيها المصل المستخرج من الارنب فاذا تعكر لون المصل وامتزج بالدم المصبوب فيه فهو دم انسان والاً فهو دم حيوان · ولمعرفة دم اي حيوان هو يُستخرج من الارانب مصل من الحيوانات المختلفة فالحيوان الذي يتفق دمه مع الدم المعصور من البقعة يكون هذا الدم منه

فائدة جديدة لاشعة رنتجن صارت اشعة رنتجن مشهورة فهي الاشعة التي تُري الانسان ما في باطنه وقد خدمت بذلك فن الجراحة والطب اجلّ خدمة · وقد اكتشف لها الآن فائدة جديدة في غاية الاهمية · وهي ان هذه الاشعة بدخولها الى باطن الجسم لا تساعد فقط على زيادة نشاط الاعضاء الصحيحة وتقويها بل ايضاً تجهز على الجوانب المصابة وتعجل في استئصالها · وهكذا تفيد في معالجة السرطان وغيره من العلل الباطنية · غير ان السبب في ذلك لا يزال مجهولاً · فمنهم من يرى ان سبب فعلها هذا تقويتها كريات الصحة في الدم واضعافها كريات المرض · ولا يزالون يوالون البحث في ذلك

استعداد الاطفال للامراض ابلغ الاستاذ بوشار مجمع العلوم في باريز رأياً للمسيو دلامار مفاده عجز الاولاد في بدء عمرهم عجزاً طبيعياً عن مقاومة جراثيم الامراض · من ذلك انهم قلما يعرقون في الايام الاولى من ولادتهم مع ان العرق من احسن الوسائل في منع دخول ميكروبات الامراض الى الجسم عن طريق الجلد لان هذه الميكروبات تعلق بالعرق فيستحيل عليها الدخول · ومن ذلك ان المادة القاتلة للميكروبات في العصارة المعدية تكون قليلة فيهم في الايام الاولى ايضاً فاذا دخلت الميكروبات الى اجوافهم امكنها النفوذ والبقاء

العصر الحجري وجدوا في كندا جمجمة انسان من العصر الحجري · وقد عرفوا ذلك من ان هذه الجمجمة مثقوبة بحربة حجرية قُتل ذلك الانسان بها ولا تزال الحربة داخلة في جمجمته

﴿ جائزة ٣٠ الف فرنك ﴾ وضع المسيو فالوري احد اعضاء مجلس الشيوخ الايطالي جائزتين سنويتين بقيمة ٣٠ الف فرنك لتعطيان في كل سنة واحدة لمؤلف احسن كتاب ادبي وواحدة لمؤلف احسن كتاب علمي طبيعي

﴿ الفحم الحجري في العالم ﴾ ورد في تقرير رسمي في نيويورك ان المستخرج من الفحم الحجري في عام ١٩٠١ قد بلغ في العالم ٨٤٠ مليون طن منها ٢٨٨ مليون طن للولايات المتحدة و٢٤٦ مليونًا لانكلترا و١٥٠ مليونًا لالمانيا

﴿ نور الشمس والبذار ﴾ ثبت ان نور الشمس يؤثر تأثيرًا سيئًا في الحبوب والاثمار اذا بقيت معرضة له مدة طويلة بعد بلوغها حالة النضج والبلوغ لانه قد يضعف نموها اذا زُرعت . واحيانًا ينتهي هذا الضعف بموت الحبة

﴿ خاصية جديدة للراديوم ﴾ من المشهور ان الراديوم اغرب المعادن لانه جسم منير بذاته اي يصدر منه نور خاص به يسمى نور الراديوم . وقد اكتشفوا له الآن خاصية اخرى وهي وجود حرارة خصوصية فيه ايضًا . فقد اثبتت التجارب الدقيقة حديثًا ان حرارة هذا المعدن تكون دائمًا اقل من حرارة المكان الذي يوضع فيه بدرجة واحدة ونصف درجة . وهم يبحثون الآن في هذه الخاصية الجديدة الغريبة

﴿ هل قطع الاتلانتيك ﴾ وجدوا على شواطىء جزائر شتلند قرب سكتلنده حجرًا بركانيًا من الحجارة المعروفة « بالحجارة الخفيفة » (الخفاف) التي تكثر على شواطىء البحار الا ان هذا الحجر مساحته ١٢٠٠ سنتيمتر مكعب وثقله لا يتجاوز ١٢٠ غرامًا . وقد كان طافيًا على وجه الماء كخشبة . فذهب كثيرون الى انه قادم من جزائر المرتنيك مقذوفًا من فوهة بركانها وقد قطع الاوقيانوس الاتلانتيكي الى انكلترا عائمًا . فلما درى بذلك بعض العلماء اهتموا به اهتمامًا شديدًا وصوّروه وفحصوه . غير ان الاستاذ بوني الانكليزي المشتغل بالبراكين وآثارها قرّر بعض فحصه انه من حجارة التنانير البشرية لا الطبيعية وانه قُذف من شاطىء انكلترا الشرقي

﴿ الفيلسوف سبنسر وفرنسا ﴾ سأل مراسل جريدة الماتن في لندن الفيلسوف هربرت سبنسر رأيه في اتفاق انكلترا وفرنسا حين زيارة الملك ادورد باريز فكلفه الفيلسوف الجليل ان يصرح للفرنسويين عن لسانه بهذه العبارة « انني امرؤٌ لكل ما من شأنه زيادة الاتفاق مع فرنسا » ورأيي هذا الفيلسوف في الحرب والخصام معروف فانه في كتابه الاخير الذي نشره في اثناء حرب الترنسفال قال انه يخجل مما صنعته حكومته بالبوير

باب التقريظ والانتقاد

طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد

تأليف المرحوم عبد الرحمن الكواكبي
طبع طبعة ثانية على نفقة المكتبة الشرقية بالعاصمة

عبد الرحمن الكواكبي عالم متضلع من العلوم الاسلامية وملمٌّ بالعلوم الطبيعية العصرية · نشأ في حلب مسقط رأسه ثم هاجر منها فرارًا من اضطهاد اعدائه ولجأ الى مصر · ولما اتخذ مصر مقامًا له تمكن في مدة قصيرة ان يشغل مكانًا واسعًا فيها لسعة علمه وانطباع المصريين على اكرام العلم والعلماء · فنشر فيها كتابًا دعاه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد وكتب كتابًا عنوانه « النظام في الاسلام » وكتابًا دعاه « ام القرى » وقد الفه باسلوب خيالي اذ جعله على طريقة اجتماعات تصوَّر اقامتها في مكة المكرمة للبحث في حالة الاسلام· وله غيرها عدة رسائل واوراق لم تنشر ولكن تلك اهمها · وقد فاجأته المنية في العام الماضي فذهب الى رحمة ربه مأسوفًا عليه من كل من عرف فضله · وقيل انه اشتُبه بسبب وفاته فمنهم من زعم انه توفي مسمومًا · ولكن هذا الخبر حديث خرافة لانه لو كان صحيحًا لما امكن كتمان ذلك بل كان لا بد ان يرتفع في مصر صوت واحد على الاقل للنداء به · وبعد وفاته اهتم بعض اكابر الاستانة باوراقه فابتاعوها على ما يقال من نجله

ولما توفي هذا الرجل الكريم في العام الماضي عتب علينا بعض القراء لاننا لم ننشر ترجمته وقد كان هذا العتاب في محله لان رجلاً كالكواكبي لا يليق السكوت عنه · ولكننا مع ذلك كنا معذورين اولاً لاننا لم نتشرف بمعرفة الفقيد في حياته فلم نكن نعرف شيئًا عنه وثانيًا لان الرجال الذين يكونون في حالة الكواكبي لا يمكن لمترجميهم ان يكونوا منصفين في ترجمتهم الا بعد ان يبرد تراب ضريحهم وتخمد قليلاً نار الحزن عليهم وحينئذٍ تخمد الاهواء التي آثارها موتهم فيمكن الكلام عنهم بانصاف وحق

وربما عدنا في فرصة اخرى الى ترجمة المرحوم الكواكبي لنبسط الكلام على آرائه الفلسفية والادبية والدينية والسياسية فان هذا الكاتب الشرقي ممن يحق للشرق ان يفتخر بهم

ويجب على ابنائه الاهتمام بآرائهم للوقوف على قويّها وضعيفها لاسيما وان هذه الآراء مرتبطة بحياتهم الاجتماعية والسياسية

اما الآن فاننا نكتفي بالاشارة الى كتابه « طبائع الاستبداد » الذي نحن في صدده. فقد طالعنا هذ الكتاب حين صدوره في اوقات الفراغ كما تُطالع الكتب الجليلة التي تقتضي الامعان لان القارئ لا يطلب ما في سطورها والفاظها فقط بل يطلب ايضاً ما بين سطورها وما وراء الفاظها . وبعد مطالعته انتهينا الى هذا الاعتقاد

(١) ان المرحوم الكواكبي كاتب نادر المثال وكل سطر في كتابه يدلُّ على قوته وعلمه . وانك لتتأثر من قوة كلامه كما يتاثر الانسان من قوة كهربائية. الا انه يميل كثيرًا الى الاسلوب الخطابي او الشعري . ولعل ذلك تابع لمزاجه العصبي المتجسم في كلامه او انه يريد التاثير في قرائه لجذبهم الى رايه اكثر مما يريد بسط ما في نفسه

(٢) ان في روح هذا الكتاب شيئاً من التناقض . فان مؤلفه حذا فيه حذو مونتسكيو في كتابه روح الشرائع وجان جاك رسو في كتابه الميثاق الاجتماعي (الكونترا سوسيال) من انذار الاستبداد بتخريب البلاد واعتبار الامة والشعب مصدر السلطة. ولذلك اقام القيامة على المستبد . على ان جان جاك روسو لم يحارب الاستبداد « اي روح الملوك والملكية » ليخصص حربه هذه ببعض الملوك دون بعض . بل انه حاربهم كلهم على وجه الاجمال اى حارب المبداء الذي يمثلونه وان كانت حرباً ضمنية مستترة . واما المرحوم الكواكبي فانه على ما يظهر قصر حربه على الاستانة فقط بدليل ما ورد من الثناء في فاتحة الكتاب على مليك عزيز جليل . وهذا ما يسمى الكيل بكيلين . والوزن بميزانين

على اننا نرجو ان لا يعجل القارئ فيظن اننا من راي مؤلف الكتاب في محاربة روح الملكية فان الجمهوريات (كجمهورية الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وجمهورية فرنسا والولايات المتحدة وسويسره) قلما يكون لها في الشرق الآن النجاح الذي يكون لها في الغرب. ذلك لان امم الشرق المختلفة وعناصره المتعددة ستبقى في حاجة الى قوة تكون فوقها كلها ما لم ينحصر كل عنصر في ارض ويتولى شؤونه بنفسه . وهذه حالة لازمة عن تعدد العناصر خصوصاً متى كان العنصر الكثير العدد لا يريد ان يُدخل شيئاً جديدًا على شرائعه تكون فيه مشاركة باقي العناصر له في كل حقوقه مطلقاً . — ومن هذا ينتج ان كثيرًا مما سماه المؤلف رحمه الله « استبدادًا » لازم في بعض الاحيان مراعاة للزمان والمكان على ان هذا لا يمنع من الاعجاب بجراءة المؤلف رحمه الله على اعلان مساوىء الاستبداد.

والاسطر الاخيرة من كتابه تدل على انصاف في تقرير الحقيقة قلما يصدر عن الكتاب الذين في منزلة كمنزلته

ديوان الرافعي

لناظمه جناب مصطفى افندي صادق الرافعي

يعرف قراء الجامعة جناب الشاعر المجيد مصطفى افندي صادق الرافعي · وقد سرنا ان حضرته نشر الجزء الاول من ديوانه واودع فيه من نظمه الرقيق المتين ما تجب مطالعته على كل اديب · وقد قال في مقدمة له طويلة حرية بالمطالعة ما نصه للدلالة على منزلة الشعر قديماً · « كان من قدر الشعر ان كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل وهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس · وايام كانوا لا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ او فرس تنتج · وكانت البنات ينفقن بعد الكساد اذا شبب بهن الشعراء » نقول ولكن من سوء الحظ (بل من حسن الحظ) قد ذهب ذلك الزمن لان البشر لا يمكن ان يقيموا في الطفولية الا بمقدار طور الطفولية

وفي هذا الديوان ستة ابواب وهي في التهذيب والمديح والوصف والغزل والمقاطيع الرثاء · واليك بعض مختارات منها

قال في وصف المأمون الخليفة العباسي المشهور

وعزَّز العلمَ فاعتزَّ الانامُ بهِ وما الى العزّ غير العلم من سببِ
ودولة السيف لا تقوى دعامتها ما لم تكنْ حالَفتها دولة الكتبِ
ويل لمن عاش في لهو وفي لعب فميتة المجد بين اللهو واللعبِ

وقال في وصف التربية في الصغر وهو نهاية في الجودة

ومن لم يرشدوه في صباهُ تحكم في شبيبته الضلالُ
فما قلب الصغير سوى كتابٍ تُسطَّر في صحائفه الخلالُ
فكم رجل ترى فيه صبياً وكم من صبيةٍ وهمُ رجالُ

وقال في زمن المدرسة

يا بني الدرس من تمنى الليالي كلياليكم تمنى المحالا
قد خبرت الانام في كل حال فاذا الطفل احسن الناس حالا

ومن قوله يحث الطالب بعد الدراسة وقد اجاد كل الاجادة

والفتى من اذا تغيَّر حالٌ لم يقف في وجوهه حيرانا

ليس يجديـ الانسان ان ياءمل الناس فلاناً من قومه وفلانا
فاسعَ في الارض ان عقبان هذا الجوّ لا يرتضين منه مكانا
واحذرِ الناس انما ياءمن النا س صبيٌّ يظنهم صبيانا
واركب الجدّ في الامور ولا تجبن اذا فات بعضها احيانا
ان هذا الوجود كالحرب لا يُكرم في الحرب من يكون جبانا

وهذا الديوان يُطلب من مكاتب مصر · فنثني على حضرة ناظمه اجمل ثناء لاتحافه الادباء بشعره المتين

الجمعيات الخيرية

قلنا غير مرة انه لا اوقع في نفوس محبي خير الشرق من اخبار جمعياته وان كان عددها لا يزال قليلاً في البلاد ومبداء التعاون فيها لم يبرح في طفوليته

﴿ جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية ﴾ وقد وردنا من جناب الفاضل عبد الفتاح افندي شريف رئيس جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية بالاسكندرية ان هذه الجمعية الكريمة قد ابرزت مشروعها من حيز القوة الى حيز الفعل فاستأجرت منزلا رحباً وهيأته للايتام واللقطاء في الثغر · وهو عمل جدير بان يصادف المساعدة من جميع سراة البلاد اقتداء بالجناب الخديوي الذى وضع هذا المشروع تحت حمايته · ونحن ندعو بتوفيق هذه الجمعية الكريمة الى اتمام هذا العمل الجليل

﴿ مستشفى الروم الارثوذكس في بيروت ﴾ ووردنا بيان اعمال جمعية مساعدة المرضى في مستشفى القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس في بيروت لتطبيب مرضى «جميع الطوائف بدون استثنا» وذلك عن سنة ١٩٠٢ وهي السنة الرابعة والعشرون للمستشفى · ويؤخذ من هذا البيان انه بلغ عدد المترضين في مستوصف هذا المستشفى في هذا العام ٤٢٣٩ نفساً منهم ٢٢٠٢ روم و ١٠٢٩ موارنة و٣٠٤ كاثوليك و٢٩٤ مسلمون و٧١ اسرائيليون و١٦٢ انجيليون و ٦١ ارمن و٧٩ دروز و٦٢ مثاولة · والمترضون في داخل المستشفى على هذه النسبة تقريباً · فكل ثناء يقصر في جنب همة الكرام الذين يديرون هذا المستشفى المفيد الذي يعامَل فيه البشر كبشر دون ان يُترك فيه مجال لوباء الجنسيات

﴿ اعانة فقراء الروم الكاثوليك في دمشق ﴾ ووردنا ايضاً بيان لجنة هذه الجمعية الكريمة في الشام عن سنة ١٩٠٢ ويؤخذ منه ان دخلها بلغ ١٢٨٧٦١ غرشاً ونفقاتها اكثر من ٨٦ الفاً

﴿ جمعية دفن الموتى الارثوذكسيه باسكلة طرابلس ﴾ ووردتنا خلاصة اعمال هذه الجمعية النشيطة المؤلفة من عدة من نشيطي اسكلة طرابلس الشام ومحبي الخير فيها وذلك عن سنة ١٩٠٢ فبلغ دخلها اكثر من ٢٢ الف غرش ونفقاتها اكثر من ١٢ الفاً

﴿ جمعية البر الارثوذكسية في القدس ﴾ واهدتنا هذه الجمعية الكريمة خلاصة ميزانيتها عن السنة الماضية فيؤخذ منها ان مجموع دخلها بلغ ٥٢ الف غرش ومجموع نفقاتها ٤٠ الفاً

﴿ جمعية اتحاد البر الارثوذكسية في بيروت ﴾ ووردنا بيان اعمال هذه الجمعية الكريمة عن السنة الماضية و يؤخذ منه ان دخلها بلغ اكثر من ٤٢ الف غرش ونفقاتها نحو ٢٥ الفاً

﴿ جمعية الاحسان في بوسطن اميركا ﴾ وكتب الينا جناب الفاضل الياس افندي صوابيني رئيس هذه الجمعية الكريمة انها قد تألفت في بوسطن (الولايات المتحدة) للتأليف بين المهاجرين ومساعدة فقرائهم وانشاء غرفة للمطالعة تضم اهم الجرائد . وهي تقبل المساعدة اليها وتعلن اسماءهم اقراراً بجميلهم . فنحن ندعو لها بالنجاح ونثني على الافاضل الذين اسسوها ونسأله تعالى ان ياخذ بيد جميع الساعين في الخير وخدمة الجمعيات المفيدة التي لا خلاف في ان البلاد والعباد في اشد حاجة اليها

البحث القويم في فن التنويم

لجامعه جناب يوسف افندي مقار

جمع هذا الكراس جناب يوسف افندي مقار مدرّس اللغة الانكليزية الايطالية ببني سو يف وموضوعه بيان ماهية التنويم المغنطيسي وطرقه وتاريخه . و يظهر ان حضرة المؤلف ابرع في اللغة الفرنسوية والانكليزية منه في اللغة العربية لان في هذا الكراس بضع فقرات بالفرنسوية سليمة من الخطاء غير الخطاء المطبعي خلافاً للنص العربي فيه . وهذه احدى نتائج التعليم الحالي في البلاد : وقد ذكر جامع هذا الكراس في خاتمته انه نحت كلمة فرنسوية جديدة لتقوم مقام كلمة « Oncle » و« Tante » الكلمة الاولى معناها « العم والخال » والكلمة الثانية « العمة والخالة » فرغبة في منع الالتباس خصص كلمة « Oncle » بالخال و« Tante » بالخالة ونحت للعم والعمة كلمة « Neuthin » و « Neuthine » اخذها من اللغة اليونانية (Neo معناها جديد و Thio عم اي العم الجديد والعمة الجديدة) وهو اختراع جميل .

وقد كتب في سنة ١٨٩٧ الى الاكاذيمية الفرنسوية يبلغها اختراعه هذه الكلمة لمنع الالتباس

فورده الجواب من حافظ اوراق الاكاذمية يقول ان الاكاذمية ليست وظيفتها نحت كلمات جديدة للمعاني بل وظيفتها ان تقبل الكلمات الجديدة متى عم استعمالها وصقلتها الالسنة حتى صارت جزءًا من اللغة . على انه لو كان حافظ اوراق الاكاذمية يعرف اللغة العربية لكتب لحضرته حاشية في كتابه وهي : ان اللغة العربية احوج الى نحت الالفاظ الجديدة من اللغة الفرنسوية والاوجب على ابنائها ان يهتموا بلغتهم قبل لغة غيرهم

مسامرات الشعب

ورقة الآس لجناب شوقي بك

مصارع الشهوات لجناب اتربي افندي ابو العز

مسامرات الشعب روايات صغيرة تصدر في الشهر مرتين ويحرر كل رواية منها كاتب من الكتاب . فهي روايات « نصف شهرية » كما ان الروايات التي يصدرها جناب يعقوب افندي جمال « روايات شهرية » وآخر رواياتها رواية « ورقة الآس » تأليف جناب عزتلو احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية ورواية « مصارع الشهوات » تعريب جناب المحامي اتربي افندي ابو العز . ونحن نرجو ان يسمح لنا جناب شوقي بك ان نقول لهُ ان عشاق ادبهِ تطربهم قصيدة واحدة على نسق قصيدته في ولي عهد المانيا التي نشرها في جريدة اللواء اكثر من عشر روايات يكتبها على نسق « ورقة الآس » . ويظهر انهُ قد كُتب للقلم الذي يكتب به حضرته النثر ان يبقى حاسدًا القلم الذي يكتب به الشعر الى ما شاء الله .

☼ الاقبال ☼ الاقبال جريدة سياسية ادبية تجارية لصاحبيها حضرات يوسف افندي صليبا وغصن افندي غصن تصدر في لورنس ماس بالولايات المتحدة وهي غير رصيفتنا « الاقبال » الاسلامية التي تطبع في بيروت . وقيمة اشتراكها في السنة ثلاثة ريالات في الولايات المتحدة وثلاثة ونصف في الخارج . فنرحب بالرصيفة الجديدة

☼ بطرس الاكبر ☼ هي رواية تاريخية غرامية ادبية نقلها من اللغة الروسية جناب سليم افندي قبعين ونُشرت تباعًا في جريدة العمران الغراء وهي تطلب من ادارتها في العاصمة وثمنها خمسة غروش صاغ

☼ قانون نظام معلمي المدارس ☼ وضع جناب سيد افندي محمد صاحب المجلة المدرسية قانونًا لمعلمي المدارس وهو عبارة عن نظام شامل للعلائق بين التلامذة والمعلمين

وعلائق المعلمين بعضهم ببعض . وثمن النسخة غرشان صاغ وهي تطلب من حضرته في مصر

﴿ الفضيلة ﴾ مجلة ادبية عمومية تصدر في آخر كل شهر لمنشئها جناب سليم افندي العضم وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ غرشاً صاغاً في السنة و١٣ فرنكاً في الخارج وادارتها بالاسكندرية

﴿ المودة ﴾ مجلة نسائية ادبية تهذيبية لصاحبها جناب سليم افندي خليل فرح وادارتها بالاسكندرية . وهي تبحث في ما يتعلق بالشؤون النسائية . فندعو لها بالنجاح في هذه الخدمة المفيدة

﴿ تنوير الاذهان ﴾ اعلن حضرة الدكتور بشاره افندي زلزل عزمه على نشر كتاب عنوانه « تنوير الاذهان في علم حياة الحيوان والانسان وتفاوت الامم في المدنية والعمران » وسيصدره اجزاء كل جزء منها يتألف من ٦٤ صفحة يصدر في كل شهر . وقيمة الاشتراك في السنة ٨٠ غرشاً صاغاً

﴿ مراثي المرحوم الياس سعاده ﴾ عزم جناب الاديب سامي افندي سعاده على جمع مراثي الادباء واقوال الجرائد في عمه المأسوف عليه الشيخ الجليل المرحوم الياس سعاده . فمن نظم او نثر شيئاً في ذلك فليرسله اليه في نيويورك . تغمد الله الفقيد برحمته ورضوانه والهم اسرته الكريمة العزاء والصبر الجميل على فقده

﴿ مسامرات النديم ﴾ هي مجلة روائية تصدر في الشهر مرة لمنشئها جناب ابرهيم افندي رمزي وعزت افندي حلمي وعنوان روايتها الاولى سلطان الهوى وقيمة الاشتراك فيها عشرون غرشاً صاغاً يدفع نصفها مقدماً

﴿ المجلة الماسونية ﴾ عادت المجلة الماسونية الى الظهور لمنشئها جناب يوسف افندي لفلوفه ومديرها جناب نقولا افندي سابا وفيها اخبار الماسون في القطر المصري ومقالات ادبية وتاريخية وقيمة اشتراكها ٢٥ غرشاً في مصر و١٠ فرنكات في الخارج

﴿ احياء العلوم ﴾ هي مجلة نصف شهرية لمنشئها جناب عبد الفتاح افندي جاب الله وغرضها البحث في العلوم الاسلامية وقيمة اشتراكها ١٥ غرشاً صاغاً وادارتها في زفتي

﴿ الصيحة ﴾ هي جريدة اسبوعية سياسية ادبية لمحررها ومديرها جناب محمد افندي الشاذلي وقيمة اشتراكها ١٠٠ غرش صاغ تدفع مقدماً وادارتها في طنطا

﴿ الاصلاح ﴾ الاصلاح جريدة سياسية انتقادية لصاحبيها ومحرريها حضرات محمد افندي زياد بدران واحمد افندي الماجدى وقيمة اشتراكها ٨٠ قرشاً في مصر و١١٠ غروش في الخارج وادارتها في العاصمة

﴿ معين المتعلّم ﴾ مجلة شهرية لمساعدة طلبة اللغة الانكليزية من ابناء الشبيبة المصرية يحررها حضرات رزق الله افندي حنا وعجبان افندي بطرس وقيمة الاشتراك فيها ١٠ غروش في مصر و١٢ في الخارج وادارتها في العاصمة

﴿ مائة مسئلة ومسئلة حسابية ﴾ وضع هذا الكراس جناب رشدي افندي كامل في مصلحة السكة الحديدية بالعاصمة وضمنه مسائل حسابية لتلامذة الشهادة الابتدائية وهو يُطلب من جناب واضعه

عقدٌ وتشطير

اقترحت الجامعة في حاشية في الصفحة ٨٢ في الجزء السابق عقد هذا المعنى للشاعر اكوفه في اطراء جنس النساء « اجثُ باحترام تحت قدمي الجنس الذي منه امك » فنظم في ذلك حضرة الشاعر الرقيق مصطفى افندي صادق الرافعي البيتين التاليين

اجثُ خضوعاً واحتراماً لمن   امك في حواء من امّها
الا ترى الجنة فيما رووا   مطلوبة من تحت اقدامها

وفيه اشارة الى الحديث الكريم « الجنة تحت اقدام الامهات »

وقد نشرت « مجلة السيدات والبنات » في جزئها الثاني هذا السؤال وجوابه

﴿ سؤال ﴾ ما هو الجمال

﴿ الجواب ﴾ ان الجمال بمعناه الحرفي هو جمال النفس . فان وراء كل جسم جميل يجب ان تكون نفس جميلة . ولذلك قالوا ان الجمال بدون النفس الجميلة ليس بجمال حقيقي . والنفس الجميلة هي النفس التي تحب الخير والصلاح وتخضع لناموسهما وتبتعد عن كل ما يخالفهما »

فنظم في هذا المعنى حضرة الشاعر الاديب علي افندي علي الغربي في دمياط الابيات التالية

ومعجبة باعطاف ودلٍّ   وحسن صانه منها جلالُ
ووجه زانهُ خد اسيل   يؤذّن للدلال به بلالُ
والحاظ مراض كم اراشت   سهاماً دون مبعثها النبالُ
وثغر دره بالدر يزري   وجيد لا يحاكيهِ غزالُ
تقول لصبها الولهان تيهاً   امثلي في البهاء لهُ مثالُ

فقد حزتُ الرشاقة عن تمام وبي جُمعت محاسن لا تُنالُ
فقال وقد رأى فيها اختيالاً وكل جميلة فيها اختيالُ
تقولين الجمال وليس هذا : جمال النفس منك هو الجمالُ

اما البيتان اللذان اقترحنا تشطيرهما في الجزء الاول :

خُلقنا لامر لو علمنا خفيه لما حبَّ منا المرء ليلى ولا لبنى
ولكن جهلنا فاستراحت نفوسنا وما تلك الا راحة تعقب الحزنا

فقد وردتنا بشانهما عدة اجوبة . ونشرها كلها يستغرق اكثر من صفحتين . لذلك نكتفي بنشر عجز الصدر الاول لان جواب الشرط فيه يدلُّ على فكر كل شاعر . قال جناب الدكتور امين افندي الخوري في المنصورة في جوابه

خلقنا لامر لو علمنا خفيه لما عُمرٌ عادى بلا سبب حذّا

وقال ايضاً

خلقنا لامر لو علمنا خفيه لكانت حياة المرء في ارضنا غبنا

وقال جناب فرج الله افندي فرج الله في رام الله (فلسطين)

خلقنا لامر لو عرفنا خفيه لأُجهدت الارواح في عمل الحسنى

وقال « احد المشتركين » في طنطا

خلقنا لامر لو علمنا خفيه زهدنا وآثرنا الكهوف لنا سكنى

وقال جناب القانوني محمد افندي نور المحامي بقنا

خلقنا لامر لو علمنا خفيه علمنا بانا للطبيعة سُخّرنا

وليس بعجيب ان يحتار الشعراء في الامر الذي خلقنا من اجله فان حيرتهم هذه قديمة من زمن شيخ المعرة ابي العلاء بل من عهد وجود نوع الانسان . والفلاسفة يشاركون الشعراء في هذه الحيرة . على انهم ولئن شاركوهم فيها فانهم لا يكتفون بان يقولوا مع شيخ المعرّة

هذا الذي صيّر الالباب حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

بل ينادون ان غرض الانسان في هذه الحياة : صنع الخير المطلق والقيام بالواجب والرفق ببني جنسه وممارسة الفضائل وتصفية روح الانسانية عن كدورات المادة لترقية شؤون البشر وابلاغهم طور الكمال . ومن ادار ظهره لهذه الاغراض واخذ يبتعد عنها كان كأنه يبتعد عن الانسانية الحقيقية